في ذكر أجوبته
عن الآيات القرآنية
والأحاديث النبوية

في ذكر أجوبته
عن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

في ذكر رسائله وكلامه وإشاراته، وما سمعته من فيوض علومه وأسراره وتقريراته، وفيه فصول وفروع وأصول، وهذا الباب هو لب اللباب، وعليه مدار هذا الكتاب **لا خفاء** أن سيدنا وشيخنا أبا العباس مولانا أحمد التجاني الحسني رضي الله عنه، ممن أوتي التحقيق، وأعطي كمال المعرفة بهذا الطريق، وخاض من بحر المعارف لججه، وركب منه ثبجه، حتى صار فيه إماماً راسخاً، وطوداً شامخاً، باعه فيه عريض، ومجلسه منه روض أريض، حوى من اللطائف، حدائق ذا بهجة، واستوعب كيفية السلوك ونهجه، واشتمل على دقائق الأسرار العرفانية وغوامض العلوم الربانية والحقائق العلية والأذواق السنية، فإذا تكلم في آية أو حديث سحر الألباب، وأتى بالعجب العجاب وإذا وعظ أثر كلامه ونفذ سهامه، وإذا أرشد إلى مولاه أفاد وأخذ بمجامع اللب والفؤاد، وانطاع له القلب وانقاد كلامه هدى ونور وشفاء للصدور، له الإشارات العلية، والعبارة السمية، يقرب البعيد للأفهام ويفحم بالحجة الواضحة أكابر الأعلام، بليغ الخطاب مصيب للصواب، لا تعوزه عن مراده عبارة، ولا تنبهم عن السامعين منه إشارة، كل يحسب الكلام صادقاً عليه ومتوجهاً إليه، ينطق بجوامع الكلم وبدائع الحكم، ويدل على الله أبداً ويجمع عليه ويدعو بالحكمة والموعظة الحسنة إليه، يؤيد كلامه بالكتاب والسنة ويجلي بنورهما كل دجنة، وإذا حضر مجلسه أهل العلم ولا يخلون منه غالباً، أظهر لهم ما خفي منهما عليهم، وأشهدهم ما كان غائباً، يتكلم في طريق القوم بما يبهر العقول من جواهر الحكم لو هبية لا من جواهر النقول، فيتكلم على المحبة والمحب والمحبوب، والسلوك والجذب والفناء والبقاء، وعلى عالم الملك والملكوت والجبروت، وعالم الروح، وعلى الكشف الأكبر والأصغر، وعلى أسرار أسماء الله الحسنى والصفات العلية، وعلى الاسم الأعظم وأسراره، وما احتوى عليه من العلوم وأنواره، وطريق معرفتها وآثارها ومؤاثراتها وتعريفاتها ومقتضياتها وأحكامها ولوازمها، وما يراد منها وبها، وعلى أحوال القيامة ومواطنها على طريقة أهل الكشف تارة، وتارة بما ورد في الكتاب والسنة، وتارة ينسب ذلك لبعض الأكابر تستراً لحاله رضي الله عنه، ويتكلم على عيوب النفس ودسائسها ورعوناتها، ويتكلم في ترك التدبير والاختيار ومنازعة الأقدار، وفي شكر النعمة وشهود الفعل من الله، كما يعلم بعض ذلك مما تقدم في الباب قبل هذا، وكلامه رضي الله عنه، في هذا وغيره من المعارف والأذواق، لا يأتي عليه العديد ولا يفي به الكثير من الأوراق، ومجلس واحد من مجالسه لا تستوفي علومه ولا تستقصي فهومه، ولكن المراد التقاط ما حضر جمع شيء مما سلف في بعض مجالسه وغيره، ما يمكن مثلي رسمه وجمعه وضمه وله رضي الله عنه، كلام بطريق الإشارة وغيرها، على آيات عديدة من القرآن العظيم، وعلى كثير من الأحاديث النبوية والإشارات العلوية، إن وافقت اللفظ ولم تغير خطاباً ولا إغراباً مقبولة، على ما حرره الأئمة الأقدمون والعارفون، وكما سلكه غير واحد من السادات الأئمة وأعيان الصوفية كالورتجي وغيره من العلماء العاملين رضي الله عنهم، ونفعنا بهم وبذكرهم، وحشرنا في زمرتهم، وأماتنا على نهجهم ومحبتهم وسنتهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهذا الباب، أعني باب الكلام أوسع من أن تستوفي أنواعه وفوائده، وتجمع مسائله وشوارده، إذ لم نزل نسمع من كلام سيدنا رضي الله عنه، حكماً وفوائد ودرراً من المعارف وفرائد، ولكن النسيان متسول على الإنسان، وما علقه منه بالأذهان والأفهام إلا ما كثر سماعه وتكراره على ممر الليالي والأيام، ولو أفرد هذا الباب بالتصنيف لكان حقيقاً، ولعلنا نتعرض له إن شاء الله في غير هذا الوقت في جزء مستقل إن وجدنا لذلك طريقاً، وقد حكينا بعض ما تقدم في غير هذا الباب بعضه بالمعنى، وجربنا فيما أوردناه على ذلك المبنى مع محاذاة عبارته ما أمكن، وإيرادها بعينها إن وافق اللسان لفظه المعين، والحكاية بالمعنى أمر مألوف وكذا الرواية برعاية شرطها المعروف، وقد أجازها للعارف أهل الحديث ورووا بها كلامه ﷺ في القديم والحديث، فما بالك بحديث من دونه فما زالوا يرتكبون فيه ذلك ويستعملونه، ومنه بعض ما حكيناه عنه رضي الله عنه، من أجل ما ذكرنا أفاض الله علينا من بركاته، وخولنا نفحاته، ونفعنا بعلومه وأسراره، ومعارفه وأنواره، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً.

في ذكر الآيات القرآنية على طريق أهل الإشارة الربانية

ولنقدم مقدمة قبل الكلام على الآيات في قول أهل السنة رضي الله عنهم وأرضاهم، أن القرآن دال على كلام الله تعالى لتعلم بذلك معنى القرآن دال على كلام الله تعالى فيه إطلاق وتسامح، وإلا فوجه التحقيق في ذلك أن كلامك بالقرآن دال على مدلولات الكلام الأزلي، لا على عين الكلام الأزلي البارز من الذات، فإن ذلك لا تمكن الدلالة عليه ولا وصول للخلق في تلاوة القرآن إلى القرآن، إلا بهذه المثابة فقط، لا أنهم يصلون إلى النطق بالكلام البارز من الذات دون مدلولاته، فإن ذلك غير ممكن لبعد تغايرهما، لأنك إذا سمعت شخصاً قال: هذا الحائط والفرس مثلاً، فقلت أنت مثل قوله: هذا الحائط والفرس، فإنه لضرورة يعقل أن اللفظ البارز من ذاتك الدال على الحائط والفرس غير اللفظ بالبارز من ذات الشخص المتكلم بالحائط والفرس، وإنما اتحدت دلالتهما على الحائط والفرس، واللفظان متغايران فبان لك بهذا أن الكلام الذي تتلوه في القرآن ليس هو دالاً على المعنى القائم بذات الله تعالى، ولا أنه عين المعنى القائم بالذات العلية، وإنما اتحدت دلالة لفظك بالقرآن ودلالة المعنى القائم بذات الله على المدلولات في الكلام فأطلق عليه اسم القرآن من هذا الباب، إذ لم يكن لذلك سبيل إلا هذا، ومثاله قال الله سبحانه وتعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر: ٥] والمعقول في هذا الكلام هو الخلق، وهو إخراج الممكن من العدم إلى الوجود والله هو الاسم الدال على الذات المقدسة، والسموات والأرض هي الأجرام المعلومات، فإذا قرأت: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [العنكبوت: ٤٤]، فإنك تكلمت بكلام تكون دلالته مماثلة لمدلولات كلام الله تعالى، وليس كلامك هو عين الكلام البارز من الذات المقدسة ولا دالاً عليه، وإنما دال على مدلولاته فأطلق عليه اسم القرآن، وذلك هو اللائق به، فإن اسم القرآن ما أطلق إلا على الكلام البارز من الخلق الدال على مدلولات كلام الله تعالى، وليس اسم القرآن يطلق على المعنى البارز من الذات المقدسة فإن ذلك لا يطلق عليه اسم القرآن، وإنما هي صفة قائمة بالذات العلية، والقرآن لا يطلق إلا على تلفظنا بكلام الله تعالى وقراءتنا له، ويوضح لك هذا وهو أن علمك بالمعلومات ليس هو دال على علم الله، إنما هو دال على مدلولات علم الله فمدلولات علمك هي مدلولات علم الله تعالى، وعلمك ليس هو علم الله تعالى فإنهما متغايران وهكذا في السمع والبصر. وهكذا في الإرادة، فإن مدلولات إرادتك هي مدلولات إرادة الله وليست إرادتك عين إرادته، ولا دالة عليها، وخذ هذا المثال حتى في الكلام الأزلي انتهى من إملائه رضي الله عنه **[ثم قال رضي الله عنه]** الكلام على التفضيل بين الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبين تلاوة القرآن، أما تفضيل القرآن على جميع الكلام من الأذكار والصلاة على النبي ﷺ، وغيره من الكلام فأمر أوضح من الشمس كما هو معلوم في استقراءات الشرع وأصوله. شهدت به الآثار الصحيحة وتفضيله من حيثيتين، الحيثية الأولى: كونه كلام الذات المقدسة المتصفة بالعظمة والجلال فهو في هذه المرتبة لا يوازيه كلام، والحيثية الثانية: ما دل عليه من العلوم والمعارف ومحاسن الآداب وطرق الهدى ومكارم الأخلاق والأحكام الإلهية والأوصاف العلية، التي لا يتصف بها إلا الربانيون فهو في هذه المرتبة أيضاً لا يوازيه كلام في الدلالة على هذه الأمور، ثم إن هاتين الحيثيتين لا يبلغ فضل القرآن فيهما إلا عارف بالله، قد انكشفت له بحار الحقائق فهو أبداً يسبح في لججها، فصاحب هذه المرتبة هو الذي يكون القرآن في حقه أفضل من جميع الأذكار، والكلام لحوزه الفضيلتين لكونه يسمعه من الذات المقدسة سماعاً صريحاً لا في كل وقت، وإنما ذلك في استغراقه وفنائه في الله تعالى، والمرتبة الثانية في القرآن دون هذه وهي من عرف معاني القرآن ظاهراً، وألقى سمعه عند تلاوته كأنه يسمعه من الله يقصه عليه ويتلوه عليه مع وفائه بالحدود، فهذا أيضاً لا حق في الفضيلة بالمرتبة الأولى إلا أنه دونها والمرتبة الثالثة في تلاوة القرآن، رجل لا يعلم شيئاً من معانيه ليس إلا سرد حروفه ولا يعلم ماذا تدل عليه من العلوم والمعارف، فهذا إن كان مهتدياً كسائر الأعاجم الذين لا يعلمون معاني

العربية إلا أنه يعتقد أنه كلام الله ويلقي سمعه عند تلاوته مهتدياً موفياً بالحدود والواجبات، غير مخل بشيء منها، والمرتبة الرابعة رجل يتلو القرآن سواء علم معانيه أو لم يعلم، إلا أنه متجرئ على معصية الله غير متوقف على شيء منها، فهذا لا يكون القرآن في حقه أفضل، بلى كل ما ازداد تلاوة ازداد ذنباً وتعاظم عليه الهلاك يشهد له قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الجاثية: ٧ ـ ١٠] وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ٦٨] الآية وكل من يحفظ القرآن ولم يقم بحدوده فقد اتخذه هزواً قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ [البقرة: ٢٣١] وقوله ﷺ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يُشَرِّفُونَ الْمُتَرِّفِينَ وَيَسْتَخِفُّونَ بِالْعَابِدِينِ وَيَقُولُونَ بِالْقُرْآنِ مَا وَافَقَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَا خَالَفَ أَهْوَاءَهُمْ تَرَكُوهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَيَكْفُرُونَ بِبَعْضِ الْحَدِيثِ» وأراد ﷺ أنه يصدق عليهم الوعيد الذي في الآية قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ إلى قوله: ﴿أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥] وقوله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِماً لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِعِلْمِهِ» وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ إلى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤] فمن ترك العمل بالقرآن فقد نسيه والوعيد ثابت عليه، فمثل هذا لا يكون القرآن في حقه أفضل من الصلاة على النبي ﷺ، فأصحاب المراتب الثلاثة الأولى القرآن في حقهم أفضل من الصلاة على النبي ﷺ، وصاحب المرتبة الرابعة الصلاة على النبي ﷺ في حقه أفضل من القرآن، وبيان ذلك أنه يزداد من الله تعالى بتلاوة القرآن طرداً أو لعناً وبعداً، إلا أن يكون صاحب مرتبة إلهية في الغيب مدخرة له في المعرفة بالله العيانية، فإنه إن كان بهذه المثابة وحاله في المرتبة الرابعة كما ذكرناه فتمحى جميع ذنوبه في الغيب، وتكتب جميع تلاوته حسنات لأجل المرتبة التي حصلت له من الله بطريق المحبوبية، فإن خلا عن هذه المرتبة فهو عند الله بين أمرين: إما أن يعامله بالعفو في الآخرة وعدم المؤاخذة بالعذاب على ذنوبه لسبب من الأسباب المعلومة في الغفران وهي كثيرة، وإما أن يناقشه ربه الحساب في الآخرة، ثم يقول له: لنؤاخذنك بها ذرة ذرة فصاحب هذه المرتبة الصلاة على النبي ﷺ أفضل له من تلاوة القرآن لكونه أن الله يصلي عليه بكل صلاة عشراً عشراً، وجميع العالم في كورة العالم عشراً عشراً لكل صلاة، فيفوز بذلك بالسعادة الأبدية، فإن هذا الوعد من الله محقق الوقوع، وهذا واقع لكل مطيع وعاص فكل من صلّى عليه ربه وصلت عليه الملائكة، فهو من أهل السعادة فصاحب هذا الحال يقع له الهلاك والشقاوة بتلاوة القرآن، وتقع له السعادة والغفران بالصلاة على رسول الله ﷺ.

فإن قلت: الثواب المرتب على تلاوة القرآن إنما هو للقرآن فقط دون التالي وذلك حاصل في تلاوته حتى من الفاسق [قلنا]: الجواب في هذا الأمر محتمل أنه يكتب له من تلاوة القرآن لكن يظهر إبطاله من جهة أخرى، وهو عدم عمله بالقرآن، فإن تلاوة القرآن مع عدم العمل هو المثال الذي ضربه الله تعالى لأهل التوراة فقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥] ومعلوم أن الحمار لا نفع له في حمل الأسفار على ظهره، وقوله ثم لم يحملوها أي لم يعملوا بما فيها، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١] وحق تلاوته هو العمل بما فيه، ومن أعرض عنه بعدم العمل فما تلاه حق تلاوته **ثم اعلم** أن الكلام في القرآن على وجهين: **الوجه الأول:** هو ما عليه العامة وأحوالهم من الظلم وجزائه والتقريع والتوبيخ وإسناد الفعل إلى المكلفين الغضب عليهم وإيقاع الوعيد عليهم باللعنة والسخط والعذاب، وإيقاع الحمد والثناء على القائمين بأمور الله منهم وبسط الكلام على ثوابهم ودرجاتهم في الجنة وما يلاقون من الرضا من الله سبحانه وتعالى إلى غير ذلك، فهذا ما في طريق العامة وأما ما في طريق الخاصة، فلا غاية له فإذا عرف ذلك بأن للعارف به أن ما في طريق العامة عطاء غطى الله به أسرار القرآن، وتركت أسرار القرآن ومذاقات أهل الخصوص من وراء أطوار الحس والعقل المدركان في أمر العامة، فيجب كتمه على كل من علمه إن لم يرد سبحانه وتعالى إظهاره إلا للخاصة العليا من خلقه.

قيل: إن أبا يزيد باسطه الحق في بعض مباسطته، قال له: يا عبد السوء لو أخبرت الناس بمساويك لرجموك بالحجارة فقال له: وعزتك لو أخبرت الناس بما كشفت لي من سعة رحمتك لما عبدك أحد فقال له: لا تفعل

فسكت. انتهى ما أملاه علينا شيخنا أبو العباس التجاني رضي الله عنه وأرضاه [ثم قال] رضي الله عنه: القرآن هو أفضل الذكر، لكن السلوك به على شرط أن يقدر التالي نفسه في نفسه أنه يشهد نفسه في وقت التلاوة أن الرب سبحانه وتعالى هو الذي يتلوه عليه وهو يسمع، فإن دام له هذا الحال واتصف به اتصل بالفناء التام وهو باب الوصل إلى الله تعالى والسلام. انتهى من إملائه رضي الله عنه [ثم اعلم] أن في الصلاة عليه ﷺ تكفل الله بمن صلّى على حبيبه ﷺ أن يصلي عليه عشر مرات بكل صلاة من تلك الصلوات التي من الله عزّ وجلّ على العبد لها سران، **السر الأول**: أن المصلي عليه ﷺ يجب على نبينا ﷺ مكافأة على من صلّى عليه، على قاعدة حكم الكرم عند الكريم أن الإحسان إلى الكرم لا يضيع الإحسان عند الكريم باطلاً، فهو ﷺ بما اتصف من الكريم وجب عليه مكافأة من صلّى عليه من هذه الحيثية، فلما توجه ﷺ هذا ناب الحق سبحانه وتعالى عنه في مكافأة من صلّى الله عليه وسلّم على إحسانه أن يصلي عليه سبحانه وتعالى بكل واحدة عشراً، **والسر الثاني**: أنه سبحانه وتعالى عظيم المحبة والعناية برسوله ﷺ، ممن رآه سبحانه وتعالى توجه إليه بالصلاة على حبيبه ﷺ اعتنى به وأحبه لأجل تحببه لحبيبه بالصلاة على حبيبه ﷺ، وكانت له تلك المحبة والعناية منه سبحانه وتعالى، إذا ثابر على الصلاة عليه ﷺ، لو أتاه بذنوب أهل الأرض كلها من أول وجود العالم إلى آخره أضعافاً مضاعفة لأدخلها كلها سبحانه وتعالى في بحر عفوه وفضله وواجهه سبحانه وتعالى في بلوغ أمله في الدار الآخرة، بتبليغه له في أعلى مراتب رضاه عنه سبحانه وتعالى، وكان حكمه في الغيب كلما صعدت الملائكة إلى الله بصحيفة أعماله مملوءة بالسيئات، يقول سبحانه وتعالى للملائكة: إن له عناية بحبيبنا ﷺ فتكون سيئاته كسيئات غيره، ولا تقع المؤاخذة عليه في سيئاته كما تقع على غيره من أصحاب السيئات، فإذا عرفت هذه الحيثية عرفت أن الصلاة عليه ﷺ لمثل أهل هذا الوقت أفضل لهم من تلاوة القرآن، من هذه الحيثية التي سمعتها فقط لا إنها هي أرفع درجة من القرآن فإن القرآن هو أفضل الدرجات في التقرب إلى الله تعالى، لكن لما صفت أعماله وأحواله مع الله تعالى، فيكون تاليه حينئذ من أكبر السابقين وأعظم الفائزين برضا الله تعالى، ولا قدرة لأهل هذا الوقت على هذا فإنه يقع بهم من المقت بتلاوة القرآن ما لا تدركه العقول، فإن لله سبحانه وتعالى غيرة على كتابه لكونه حضرة القرب والتداني، فمن خالط كتابه وأساء الأدب معه طرده ومقته لكونه لم يعط الحضرة حقها، فإذا عرفت هذا عرفت النسبة بينه وبين الصلاة عليه ﷺ والسلام. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه [وسألته رضي الله عنه] عن قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] [فأجاب] رضي الله عنه بما نصه: اعلم أن الكلام على محبة الحق سبحانه وتعالى لعبيده إما ما يعهد في محبة المخلوقات التي هي شدة الميل والشغف بالشيء، حتى لا يجد عنه صبراً وشدة الاشتياق إلى المحبوب عند فقده والولوع به، حتى يذهب عن عقله هائماً في حب المحبوب، فهذه كلها مستحيلة في حق الله سبحانه وتعالى لا يتأتى في ذاته العلية أن يطرأ فيها ميل أو شغف أو شوق، إذ هو في مرتبة ذاته جلّ وعلا، في غاية العلو الذاتي، والكبرياء الذاتي، والعز الكامل، والجلال الذي لا يوصف ولا يكيف، وكل هذه الصفات العلية من حيث ما هي، هي في الذات اقتضت أن لا يوجد شيء معه من الأكوان، لأن الكبرياء الذاتي والعز الذاتي والعلو الذاتي والجلال الذاتي تقتضي كلها غيرة من وجود غيره سبحانه وتعالى معه، فضلاً عن أن يلتفت إليه بمحبة أو يلتوى إليه بشوق لما هو عليه من الصفات المذكورة، وفيها يقول سبحانه وتعالى: كنت كنزاً لم أعرف إذ هو في تلك الغيرة بوجود تلك الصفات يأنف من وجود غيره معه، ثم تنزل سبحانه وتعالى بقوله: فأحببت أن أعرف. وهذا التنزل منه ليس نزولاً عن المرتبة الأولى بل هو فيها أزلاً وأبداً، لكن اقتضت مشيئة الله سبحانه وتعالى التي يستحيل نفي ما تعلقت به أن لا بد أن يوجد عالماً من الموجودات يتصرف فيه بإفاضة رحمته وعمومها وبظهور سطوات جلاله وعلوها، وعبر عما تعلقت به هذه المشيئة هو التنزل ثم قال: فخلقت خلقاً فتعرفت إليهم فبي عرفوني، وكان تنزله إليهم بحكم المشيئة اقتضى ذلك التنزل فيضاً من نقط جوده وكرمه التي ينتفع بها من وقعت عليه، ومن هذا الفيض حكم سبحانه واختلف حكمه سبحانه وتعالى في وجوده، فطائفة شاء ترفيعهم وتعظيمهم وتمكينهم من الرتبة العليا والعلو والشرف والتعظيم، وهؤلاء هم النبيون والملائكة ومن شاء اختصاصه من عوالمه في هذه الرتبة، وطائفة قضى بترفيعهم وتعظيمهم وإعلائهم إلى رتب هي دون الأولى، وأهل هذه الرتبة هم الصديقون والأقطاب، ثم حكم برتب دونهم في الترفيع والتعظيم وإفاضة الفضل والجود وفي هذه المرتبة عامة الأولياء على اختلاف مراتبهم، ومن شاء تخصيصهم

مثلهم من العوالم، ودونهم طوائف قضى بترفيعهم وإعلائهم إلى رتبة دون هذه الرتبة، وفي هذه المرتبة طوائف الصالحين، الذي قضى لهم سبحانه وتعالى بتوفية امتثال أمره واجتناب نهيه مع ضيق الحجاب وغمه، فهم دائماً ينقلبون في أطوار المجاهدات وضيق الأمر، لم يخرجوا إلى روح الأحوال واتساع المجال وإطلاق الأرواح في سراح الوجود الذي لا غاية له، لأن تلك مرتبة الأقطاب والصديقين وطائفة دونهم في المرتبة قضى بترفيعهم وإعلائهم وإصفائهم أيضاً وهم عوام المؤمنين وهم الذين يقعون مع إيمانهم في مخالفة أمره، والكل قد اكتنفهم مراتب التعظيم والإجلال، والكل مأواهم الجنة لكن مراتبهم مختلفة كما قلنا، وكل هذا تصرف المشيئة الإلهية واختصاصها لمن شاء سبحانه وتعالى، وهذا التصرف بحكم المشيئة هو المعبر عنه بمحبة الحق لخلقه وإن تباينت مراتبهم في المحبة، لكن هي المحبة الخاصة منه وأصحابها كما قلنا إن هناك أمراً دقيقاً صعب المرام لا مطمع للعقول والأفكار فيه، اختص به المرسلين والصديقين ومن وراءهم من عموم النبيين، وهو محبة ذاته العلية حباً خالصاً لذاتها لا يعود عليها منه شيء وهذا المطلب هو أقصى المرامات كلها، فمن منحه سبحانه وتعالى ذرة من هذا المطلب ارتفع به إلى المرتبة العليا في التعظيم والإجلال، ومن دون الصديقين لا حظ لهم في هذا الخطاب، وهناك المحبة العامة منه سبحانه وتعالى، وفي هذه المحبة جميع العوالم حتى الكفار فإنهم محبوبون عنده في حضرة قوله تعالى: فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً فتعرفت إليهم فبي عرفوني لا تظن أن مخلوقاً أهمله من هذه المعرفة، فإن الأرواح كلها خلقت كاملة المعرفة بالله تعالى، ولكن طرأ عليها الجهل بمخالطتها للجسم، فإنما ذلك الجهل بمنزلة الذي كان كامل العقل والعلم بالأمور، فطرأت عليه مصيبة فصار أحمق لا يميز شيئاً، فإن الجهل الذي وقع للأرواح ليس هو الأصل فيها، وإنما الأصل فيها المعرفة بالله تعالى من كل وجه، ولعل المعارض يقول: فما بال أجسامهم جهلت بالله وهي داخلة تحت قوله فأحببت أن أعرف؟ [فالجواب] أن أجسام الكفار ليس فيها جهل بالله تعالى، وإنما لها إدراك وحدها خلاف إدراك الروح، وبذلك الإدراك صارت عارفة بالله تعالى فتسجد له وتسبحه ولا علم لها بما الروح فيه من الشرك بالله قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] فهي من جملة الأشياء التي تسبح الله تعالى وتسجد له، وإنما مصيبة الشرك والجهل بالروح وليست هي الأصل فيها بل مصيبة طرأت عليها، ولم يكن لقوله: فتعرفت إليهم فبي عرفوني. معنى إذ الكفار داخلوا في هذه المعرفة لأنهم ما جهلوه في هذه المرتبة وهم داخلون في عموم هذه المحبة وهذا الأمر فيهم هو الأصل، الذي إليه المرجع، وما طرأ عليهم من وراء ذلك بسبب الكفر من الذلة والإهانة واللعن والطرد والغضب والسخط وشدة العذاب وتأييده، فإنما هي تلك عوارض طرأت على الأصل، والأصل المحبة فما خرجت الكفار عن محبته سبحانه وتعالى، لكن المحبة العامة إذ الخاصة لا حظ لهم فيها، التي مقتضاها الترفيع والاجلال، والمحبة العامة هم داخلون تحت حيطها وإليها مرجعهم ومآلهم من وجه لا يحل ذكره وما يعقله إلا الأكابر، ويترك ذلك تحت غطائه لا ذكر لأهل الظاهر. لعدم قبول عقولهم له، واطلع عليه الخاصة بالفيض الإلهي ولقد غنى غنات من هذا الأمر الشيخ الأكبر والشيخ عبد الكريم الجيلي، فقد وقع عليهم الخبط والصعق عقوبة لهم لما أبدوا من العلم المخزون إلا أنه جاء ما يدل على هذا في قوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم في سهيل بن عمرو وكان من أشراف قريش وكان خطيب العرب إذا تكلم حرك الساكن حين أخذه أسيراً يوم بدر، قيل له: يا رسول الله انزع ثنيتي سهيل لا يقوم عليك خطيباً في موضع قال ﷺ: «لَا أُمَثِّلُ بِهِ فَيُمَثِّلُ اللهُ بِي» وإن كنت نبياً علم أنه ما خرج عن محبة الحق ولو كان كافراً، إذ لو لم يكن محبوباً عنده ما صحت عقوبة نبيه لأجله، وكذلك حين وجد عمه حمزة مثل به قال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «لَئِنْ أَظْفَرَنِي اللَّهُ بِهِمْ لَأُمَثِّلَنَّ بِهِمْ بِثَلَاثِينَ قَتِيلاً فِي حَمْزَةَ» فأنزل الله سبحانه وتعالى عليه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ إلى ﴿لِّلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦] فدل هذا على أنهم في محبة الحق وإن كانوا كفاراً إذ لولا ذلك ما نهى نبيه صلّى الله عليه وآله وسلم عن الزيادة في التمثيل، فهذان الحديثان يرمزان لما قلنا من العلم المخزون، قال أبو يزيد رضي الله تعالى عنه يوم باسطه الحق في حضرة قربه قال له: يا عبد السوء لو أظهرت مساويك للناس لرجموك بالحجارة، قال هو: وعزتك لو أخبرت الناس بما كشفت لي من رحمتك ما عبدك منهم أحد اتكالاً على تلك الرحمة قال له سبحانه وتعالى: لا تفعل قال له فلا تفعل أنت وأما محبة الخلق لله سبحانه وتعالى فهم فيها أيضاً على مراتب، الأكابر الأعلون منحهم محبة ذاته سبحانه وتعالى، فهم بها غرقى في بحار التوحيد لا يعرفون غير الله تعالى ولا يلتفتون إلى سواه، ولا عبرة عندهم بغيره محبة

واعتماداً والتجاء وافتقاراً وتهمماً ليس لهم في هذه الأمور إلا الله سبحانه وتعالى، لا يخطر في أسرارهم غير الله تعالى ودونهم في المحبة عامة الأولياء يحبون الله تعالى لفضله ولما منحهم من جوده وكرمه، ومحبتهم مقتضاها الشكر، وعلى هذه المحبة دلت الأنبياء جميع الخلق، قال سيدنا هود عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩] وقال سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤].

وهكذا جميع الرسل ذكرت الخلق بما منحهم الحق سبحانه وتعالى من نعمه، وهذه المحبة مقتضاها الشكر وهي التي فيها تعمل العبد ليست كالمحبة الأولى التي هي محبة الذات، فإن تلك لا تعمل للعبد فيها إنما هي فيض من فيوض الله تعالى وفي هذه الرتبة جميع الأولياء، والمحبة الثالثة هي محبة الإيمان بالله وهي محبة جميع المؤمنين التي انتفى بها بغض الحق سبحانه وتعالى، فما يتصور مع الإيمان بالله تعالى بغض له سبحانه وتعالى، والمحبة الرابعة العامة وهي للكفار خاصة فإنهم يحبون الله تعالى محبة الألوهية لما هو عليه من كمال الألوهية وعمومها، إلا أنهم مختلفون في هذه المرتبة منهم من أحب الله تعالى مع معرفتهم بألوهيته كاليهود مثلاً ومنهم من أحب الله تعالى غلطاً منه بنسبة الألوهية لغيره إلا أن الحق سبحانه وتعالى تجلى لهم في تلك الألباس لكمال ألوهيته فأحبوه وعبدوه من حيث لا يشعرون، فلولا أنه تجلى لهم في تلك الألباس وجذبهم بذلك التجلي إلى محبة ألوهيته، ما كانوا يلتفتون إلى تلك الأوثان ولا أن يلموا بها فضلاً عن أن يعبدوها، فهم محبون لله عابدون له من حيث لا يشعرون، وهذه العبارة هي المعبر عنها بالسجود ذكرها في الآية قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٥] طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال فكل عابد أو ساجد لغير الله في الظاهر فما عبد ولا سجد إلا لله تعالى: لأنه هو المتجلي في تلك الألباس وتلك المعبودات كلها تسجد لله تعالى وتعبده وتسبحه خائفة من سطوة جلاله سبحانه وتعالى، ولو أنها برزت لعبادة الخلق وبرزت له بدون تجليه فيها لتحطمت في أسرع من طرفة العين لغيرته سبحانه وتعالى، لنسبة الألوهية لغيره تعالى قال سبحانه وتعالى: لكليمه موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤] والإله في اللغة هو المعبود بالحق وقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ يعني لا معبود غيري، وإن عبد الأوثان من عبدها، فما عبدوا غيري ولا توجهوا بالخضوع والتذلل لغيري، بل أنا الإله المعبود فيهم، هذا معنى قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ على هذا المنوال يريد إياك أن تعتقد ما يعتقده الجهال من أنهم يعبدون غيري، أو أنهم يتوجهون لغيري فالمحبة لهؤلاء حافظة لهم لأنهم محبوبون عنده، وتوجهوا إليه بهممهم وما توجهوا لغيره سبحانه وتعالى، فهذه محبة الخلق لله تعالى فهي على مراتب بحسب مشاربهم، محبة الذات ومحبة الآلاء ثم محبة الإيمان ثم محبة الألوهية وهي التي فيها الكفار، فهذه المراتب هي محبة الخلق لله تعالى ثم قوله تعالى بأمره لنبيه ﷺ: ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ وكل طائفة اتبعته في المحبة على مقدارها، فالذين لهم محبة الذات اتبعوه واقتدوا في الاتصاف بالأحوال العلية والأخلاق الإلهية والصفات القدسية، التي لا تدرك إلا ذوقاً ولا ينالها إلا أهل محبة الذات، وأهلها هم الصفوة العليا عند الله تعالى، فهذا اقتداء **الطائفة الأولى**: به ﷺ، يحببكم الله في هذه المرتبة هو أنه يمنحهم الله سبحانه وتعالى من تجلياته العيانية ومواهبه العرفانية، وجذبهم إليه جذباً كلياً حتى لا يبقى فيهم بقية لغيره، أما ما يمنح هؤلاء من العطايا والمنح فلا يذكر ولا تدرك له غاية ولا يعرف تقدير لقوله يحببكم الله، وأما **الطائفة الثانية**: الذين أحبوه لآلائه ونعمائه، ومقتضى ذلك هو الشكر لله تعالى، فهؤلاء اقتدوا به ﷺ واتبعوه في مقام الشكر حيث قيل له في قيام الليل: أتفعل هذا؟ وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً، وقال ﷺ: «**أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يُغَذِّيكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي**» فدل ﷺ كما دلت الأنبياء قبله على محبة الله تعالى لآلائه ونعمائه، فهذا وجه الدلالة ولم يدل على المحبة الأولى، وهي محبة الذات لعلمه أن تلك موهبة من فيوض الحق سبحانه وتعالى ليس للخلق فيها عمل، فلذلك لم يدل عليها، وهكذا جمع الرسل ما دلت على المحبة الأولى لأنها ليست من تعمل الخلق قوله: يحببكم الله في هذه الطائفة فإنه يهبهم في الدار الآخرة من جزيل الثواب وعلو الدرجات ما لا تنتهي إليه الأفكار، إذ يكون في بعض المؤمنين أن له في الجنة من الحور ما يزيد على الملائكة بأضعاف مضاعفة، ولكل حوراء من الخدمة سبعون ألف جارية، ولكل حوراء قصر مخصوص بها في الجنة، وهذا للرجل الواحد من المؤمنين يهبه سبحانه وتعالى شكراً لجزاء أعماله، قال الله تعالى:

﴿وَسَنَجْزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠] وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ كل طائفة على قدر مرتبتها وأما محبة أهل الإيمان فقال سبحانه وتعالى في حقهم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] فهذا معنى محبته لهم سبحانه وتعالى، وهؤلاء اتبعوه ﷺ في مرتبة الإيمان، والمحافظة على بعض الفرائض، وإن وقعوا في بعض المخالفات فما خرجوا عن متابعته ﷺ ومحبة الحق لهم هو ما جازاهم في الجنة وينتهون إلى رؤية وجهه الكريم فهذا معنى قوله: يحببكم الله، وأما الطائفة الرابعة وهم الكفار فلا حظ لهم في متابعته ﷺ، ولا يتوجه لهم الخطاب يعني قوله: ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] هو لأهل المراتب الثلاثة، وليس لأهل المرتبة الرابعة حظ من هذا الخطاب، وقولنا في ما تقدم: وهم داخلون في عموم هذه المحبة أي الكفار إلى آخر العبارة يعارض هذا الذي ذكره أهل الظاهر في كونهم وقع النص على الكفار في كتاب الله أنهم أعداء الله تعالى بقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] وقوله ذلك جزاء أعداء الله النار، لهم فيها دار الخلد والجواب عن هذا أن الخلق كلهم جملة وتفصيلاً على المشيئة الإلهية، كأن بروزهم ما خرجت منهم ذرة عن هذا المنوال وليست محبة الله في الوجود إلا تفصيل مشيئته وتخصيصها، وقد كنا قدمنا المحبة المعهودة في حق الخلق من شدة الولوع بالشيء وشدة التعشق وشدة الميل إلى الاتصال بالمطلوب، وما يتبع ذلك من الشغف والاحتراق بالشوق كل ذلك، مستحيل على ذات الله تعالى أن يحل فيها هذا الأمر، لقيام البراهين القطعية على نزاهة ذاته المقدسة عن هذا المنوال، ويطول جلب تلك البراهين والمانع في ذاته المقدسة عن هذا أمور: **الأول**: من شدة الولع بالشيء وشدة الشغف به وطلب الاتصال به أن الداعي لذلك هو الافتقار إلى ذلك الشيء المحبوب، وتحصيل المنفعة به أو دفع المضرة به، والذات المقدسة غنية عن هذا إذ هو الغني عن العالمين فلا يحل به شيء من هذا، **والأمر الثاني**: ما عليه ذاته المقدسة من العظمة والكبرياء والعز والجلال والعلو، وكل هذه الصفات ذاتية وكل هذه الصفات اقتضت لذاته العلية أن لا يوجد شيء معها فضلاً عن أن تحتاج إلى شيء. **والأمر الثالث**: نزاهة ذاته العلية عن تعاقب الأحوال عليها فلا يطرأ عليها التغير في لحظة من اللحظات، بل هي على وصف قائم بها لا تنفك عنه ولا تتغير عنه بحال ولذا يقول ﷺ في الحديث: «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ**» وأراد ﷺ بالرضا ما عليه ذاته المقدسة من الصفات الذاتية المتقدمة وكمال الغنى فيها عن جميع العالمين، فإنه وصف ذاتي لها وهو مستحيل الانتقال والزوال، ولذا استعاذ به ﷺ إذ لو كان يصح انتقاله وزواله، لكنا نقول في بعض الأوقات: يوافق زوال ذلك الشيء منها فلا تكون مفيدة له لعدم وجود ما استعاذ به فيها، فلما كان مستحيل الزوال والانتقال استعاذ به ﷺ، ولما كان السخط من الله لا وجود له في ذاته إنما هو من صفات الفعل فقط استعاذ به منه ﷺ لأنه صحيح الانتقال والزوال لكونه من صفات الفعل لا من صفات الذات، فإن الذات في غاية الرضا على أبد الأبد في حق المؤمن والكافر ولعل المعارض في هذا يقول فما وقع في الأخبار من ذكر سخط الله تعالى وغضبه في الآيات البينات كقوله تعالى في قاتل النفس: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣] لقتله النفس بغير حق وكقوله في حق الكافرين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٤، ٦٥].

وأمثال هذه الآية كثيرة، والجواب عن هذا أن تلك العقوبات منه سبحانه وتعالى، لم تكن لإشفاء غيظ ولا للحوق حقد في ذاته، أو غل فإن الذات المقدسة منزهة عن هذا، وإنما تلك كمالات ألوهية فالألوهية لها وصفان وصف هو لجنود الحق والنور والسعادة، والوصف الثاني جند الظلام والباطل والشقاوة فكلها كمالات ألوهيته سبحانه وتعالى وتعلقات مشيئته لا يخرج شيء عن هذا المنوال، وما أطلق في الكفار من العداوة والغضب والسخط، فإنما هي أحوال اقتضتها كمالات الألوهية تتعاقب عليهم لا أنها أمور قائمة بذاته فهي من صفات الفعل فقط، والأمر الرابع من أمور الذات المانع من شدة الميل إلى الخلق واستحالة مشابهتها للحوادث لو حل فيها ذلك الشوق والشغف والولوع بالشيء لماثلت الحوادث وصارت حادثة مثلها، وهو محال فتعين من هذا أن الذات مقدسة عن هذا كله لا يحب شيئاً ولم يبغض شيئاً، فلم يبق إلا تصرف مشيئته وتعلقها بالموجودات إذ كل ما تعلقت المشيئة به محبوب لله لأن المحبة هي عين الإرادة متى أحب الشيء أراده، والإرادة عين المشيئة فإذا عرفت هذا عرفت أن كل ما في الكون محبوب لله تعالى لأنه مراده كافرهم ومؤمنهم، إذ لولا تعلق إرادته بهم ما أوجدهم، قال سبحانه وتعالى لسيدنا

موسى عليه الصلاة والسلام وحين طلبه في إهلاك قارون قال له: إني جعلت الأرض أن تعطيك فافعل بها ما تريد. فدخل عليه دار الذهب وحوله عظماء بني إسرائيل ممن كان يعظمه لدنياه، فقال لهم سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام: «**من كان لي فليخرج ومن كان لقارون فليثبت معه**» فخرج الناس كلهم متبرئون من قارون إلا قليلاً، فقال عليه السلام: «**يا أرض خذيهم**» وكان على كرسي عظيم من الذهب فلما رأى الأرض أخذت تبتلع الكرسي وكان الملعون عالماً بالأمر ليس جاهلاً به علم أن أمر الله لحقه كما حق الكفار فتاب فلم يجد التوبة سبيلاً، فقال له: يا موسى ناشدتك الله والرحم فلم يلتفت له ولا اكترث به وهو يقول عليه السلام: يا أرض خذيهم حتى أكمل قارون سبعين مرة وهو يناشده بالله والرحم والكليم عليه السلام يقول: يا أرض خذيهم فعند كمال السبعين ابتلعته الأرض وغاب فيها بكرسيه فإلى الآن يتجلجل فيها إلى قيام الساعة لا يبلغ قعرها إلى النفخ في الصور فعاتب الله موسى عليه السلام عتاباً شديداً قال له سبحانه وتعالى: «**يَسْتَغِيثُ بِكَ سَبْعِينَ مَرَّةٍ فلم تَغِثْهُ وَلَو اَسْتَغَاثَ بِي مَرَّةً وَاحِدَة لأَغَثْتُهُ**» قال الحق لموسى: هل تدري لم لم ترحمه لأنك لم تخلقه ولو خلقته رحمته ثم قال له وعزتي وجلالي لاجعلت الأرض بعدك طوعاً لأحد فوجه الشاهد قول الحق سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام حين ألقي في بطن الحوت وهو يستغيث، فسأل قارون الملائكة الموكلين بعذابه أن يتركوه حتى يسأل سيدنا يونس عليه السلام، فتركوه فناداه يا يونس ما الذي بلغ إلى هذا الحال، قال له عليه السلام: ذنوبي قال له قارون: ارجع إلى مولاك في أول قدم تجده، قال له يونس: فما لك أنت لم تتب إلى الله تعالى قال له: رجعت إلى الله تعالى على قدم الصدق لكن توبتي وكلت إلى ابن خالتي موسى فلم يقبلها، فدل هذا على أن الخلق كلهم محبوبون لله تعالى مؤمنهم وكافرهم، وأيضاً لأجل أنهم مظاهر ألوهيته سبحانه وتعالى خلقهم ليظهر فيهم بكمالات الألوهية، ولذا ويقول أهل الحقائق: لم يخلق خلقاً عبثاً سبحانه وتعالى، يريدون أنه ليس ثم مخلوق لله تعالى مجرد عن الفائدة لأنهم مظاهر أحكامه وألوهيته، فبان لك ما قررناه أن الخلق كلهم محبوبون لله تعالى ولا يلتفت لأبحاث أهل الظاهر من قصور أفهامهم فإن هذا من علوم العارفين ليس لأهل الظاهر فيها مجال. وقد استدل شيخنا رضي الله عنه فيما ذكره في شرح هذه الآية المتقدمة، من أن الكفار داخلون تحت حيطة محبة الله تعالى ورحمته بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] الآية قال رضي الله عنه: معناه فسأكتبها خالصة من العذاب للذين يتقون دلت الآية على أن خلق الله قسمان هنا وهناك قسم معذب مرحوم وقسم مرحوم فقط لا عذاب عليه، أما القسم المرحوم المعذب قال سبحانه وتعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وأما النصف الثاني الذي هو مرحوم بلا عذاب فقال سبحانه وتعالى في حقهم فسأكتبها للذين يتقون الآية وما ورد في قوله تعالى مما يناقص عموم الرحمة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٢٣] فالرحمة في هذه الآية التي يئسوا منها هي الجنة فقط، فإنها محرمة على كل كافر وليست الجنة هي غاية رحمة الله تعالى، فإن رحمة الله تعالى لا تحيط بها العقول يرحم الكفار حيث يشاء، وقد ذكر بعض أهل الحقائق أن بعض أحوال الرحمة في أهل النار من الكفار، أنهم يغمى عليهم في بعض الأوقات فيكونون كالنائم لا يحسون بأليم العذاب، ثم تحضر بين أيديهم أنواع الثمار والمآكل فيأكلون في غاية أغراضهم، ثم يفيقون من تلك السكرة فيرجعون إلى العذاب، فهذا من جملة الرحمة التي تنال الكفار والسلام. **[تكميل لما تقدم]** من تقسيم مراتب المحبة وأهلها الذين سبقوا في صدر الآية، قال سيدنا رضي الله عنه: محبة الله على أربعة مراتب **الأولى**: محبة الإيمان وقد تقدم الكلام عليها، **والثانية**: محبة الآلاء والنعماء لخواص المؤمنين وتقدم الكلام عليها أيضاً، **والثالثة**: محبة الصفات وأهلها في المسمون عند العامة بالأولياء وهم الأكثرون في النفع للعامة، **والرابعة**: هي محبة الذات وأهلها هم الصديقون عند الصحو والبقاء وقد تقدم الكلام عليها، وبقي الكلام على محبة الصفات التي هي مرتبة الأولياء، وأهلها دأبوا على خدمة الله تعالى والتوجه إليه بقلوبهم لأجل ما هو عليه من محامد الصفات، إلا أنهم تعلقوا بالصفات الفعلية كالخلاق والرزاق والوهاب وأمثالها، فهم ملتحقون بالطائفة الثانية إلا أنهم أرفع منهم، ومنهم طائفة تعلقوا به لما هو عليه من صفات كرمه ومجده وحمده، فهؤلاء أصحاب التعلق بالصفات إلا أن معهم بقية من ملاحظة العطاء منه سبحانه وتعالى وهو ضرب من محبة الآلاء والنعماء، وطائفة تعلقوا به ودأبوا على خدمته لما هو عليه من الصفات الذاتية وهي الكبرياء والعظمة

والعز والجلال والعلو والمتعلقون بهذه الصفات محبة وخدمة معهم رشحة من محبة الذات، فإن هذه صفات الذات الأصلية، فلا حظ فيها لمخلوق، إنما الصفات التي يكون بها مفيضاً لخلقه هي اللطف والخلق والرزق والهبات والعفو والكرم وأمثالها، فالمتعلقون بها مطالبون بعطائه ومنه، والمتعلقون بالصفات الذاتية لم يريدوا منه شيئاً مثل العظمة والكبرياء والعز والجلال والعلو لأن هذه الصفات متى برزت للعيان امتحق المشاهد تحتها للقهر الذي يلزمه، فإنه لا يطيق أحد من الخلق مطالعة عظمته وجلاله وعلوه وكبريائه وعزه، ولذا يسحق ويمحق المشاهد تحتها، فلو سئل المتعلق بها مثلاً لماذا تخدم ربك وتنقطع إليه لقال لما هو عليه من العظمة والكبرياء لا لينالني منه شيء، فإن معهم رشحة من محبة الذات، وبعد هذا محبة الذات وهي للصديقين ومن وراءهم من المرسلين والملائكة والنبيين والأقطاب، ثم قال رضي الله عنه: وبيان التدريج في هذه المراتب المذكورة فصاحب محبة الإيمان إذا دام التوجه بها إلى الله تعالى، ولازم قلبه ذلك انتقل منها إلى محبة الآلاء والنعماء، لأنها أعلى منها، وصاحب محبة الآلاء والنعماء إذا دام التعلق بها والتوجه إلى الله بالقلب على طريقها، انتهت به إلى محبة الصفات، فانتقل إليها حينئذ وهي أعلى منها، وصاحب محبة الصفات إذا أدام التوجه إلى الله تعالى واستقام سيره وسلوكه انتقل منها إلى محبة الذات وهي الغاية القصوى، ومتى وصل إلى محبة الذات أعني أنه يشم رائحة منها فقط انتقل إلى الفناء مرتبة فيكون أمره، أولاً ذهولاً عن الأكوان، ثم سكراً ثم غيبة وفناء، مع شعوره بالفناء ثم إلى فناء الفناء، وهو أنه لم يحس بشيء شعوراً وتهمماً وحساً واعتباراً، وغاب عقله ووهمه وانسحق عدده وكمه فلم يبق إلا الحق للحق في الحق، وهو مقام الفتح والبداية يعني بداية المعرفة وصاحبه إذا أفاق من سكرته يأخذ في الترقي والصعود في المقامات إلى أبد الأبد بلا نهاية اهـ.

تنبيه وبيان: في الاستدلال على أن الكفار محبوبون ومرحومون كما سبق في شرح قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: ٣١] الآية إلى أن قال شيخنا رضي الله عنه وفي هذه المحبة جميع العوالم حتى الكفار فإنهم محبوبون عنده إلى آخر ما ذكر في حقهم، ثم قال رضي الله عنه مستدلاً على قوله: الطهارة طهارتان: طهارة أصلية، وطهارة عرضية، فالطهارة الأصلية: هي في جميع الموجودات جملة وتفصيلاً منزعها ومحتدها من سر اسمه القدوس فإن اسمه القدوس متجل في كل ذرة من الوجود، والقدوس هو الطاهر الجميع الكامل من جميع النقائص يقول في الأسماء الإدريسية: يا قدوس الطاهر من كل سوء فلا شيء يعازه من جميع خلقه بلطفه فما في الوجود إلا طاهر كامل لتجلي اسمه القدوس على كل ذرة، فكل ما خلقه تجلّى فيه باسمه القدوس، فلو وقع التنجيس في ذرة من الوجود لوقع النقص في صفاته الكاملة وهي القدوس عن جميع النقائص وبه يلزم تعطيل الألوهية، والألوهية شاملة لكل ذرة لأن الألوهية هي المرتبة الجامعة المحيطة لله تعالى في جميع الموجودات، فما في الوجود إلا داخل تحت الألوهية بالخضوع والتذلل والعبادة والتسبيح والسجود، فلو تنجست ذرة واحدة ما صح لها أن تتوجه لعبادته والسجود له وتسبيحه فالطهارة شاملة لها من حيث حيطة الألوهية، وتجلّى اسمه القدوس على جميعها فهذه هي الطهارة الأصلية، ومعنى تجلّى اسمه القدوس على جميعها فسيطلب كيفية ذلك من لا فهم له من أهل الظاهر، وكيفية ذلك قوله ﷺ: «**إِنَّمَا قَامَ الوُجُودَ كُلُّهُ بِأَسْمَاءِ الله الظاهِرَةَ وَالبَاطِنَة**» ومعنى ذلك فما في الوجود ذرة فما فوقها مما دق أو جل فرداً فرداً إلا انبسط عليها نور اسم من أسماء الله تعالى، ولولا ظهور ذلك النور عليها وانبساطه عليها لما ظهرت للوجود ولبقيت في طي العدم، فلا يشترك موجودان في اسم واحد ولا يكون لذرة منها اسمان في ذات واحدة، فانبساط أنوار الأسماء الإلهية ظهر على كل ذرة من الوجود عظيمها وحقيرها في الوجود كله، إلا ظهور الأسماء الإلهية بأنوارها وبواسطة ذلك النور ظهرت الموجودات فإذا عرفت هذا وعرفت أن الوجود قام كله بأسماء الله تعالى، والأسماء الإلهية داخلة تحت حيطة الألوهية وكل الأسماء الإلهية تجلّى عليها باسمه القدوس فإن القدوس من أسماء الذات فالقدوس تتصف به الذات والصفات والأسماء، فالحق سبحانه وتعالى قدوس في ذاته، قدوس في صفاته، قدوس في أسمائه، والوجود كله أعيان الأسماء، وسر اسم القدوس متجل عليها فهذا يعني تجلّي اسمه القدوس على جميع الوجود، وهي الطهارة الأصلية التي قلنا وهذا الكلام من علوم العارفين، لا مدخل فيه لأهل الظاهر وأما الطهارة العرضية هي ما نص عليه سبحانه وتعالى في شرعه وهي قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] وما دلت عليه الرسل من اتقاء الأشياء المنجسة يعني المحكوم بنجاستها شرعاً لا أصلاً، عند العبادة فإن نجاستها عارضة ليست ذاتية لأنها باقية ببقاء الشرع الذي هو مقتضى الأمر والنهي، فإذا نفخ في الصور وزال حكم الشرع انتقلت الأشياء كلها

للطهارة الأصلية، فالشرع عارض بقاؤه ببقاء هذه الدار فإذا نفخ في الصور زال الشرع، وانتقلت الأشياء إلى أصلها فلم يبق تكليف، وأما من حق عليه العذاب من الكفرة فإنما هو عرض فيهم والأصل الرحمة والمحبة، فهم محبوبون مرحومون وإن وقع فيهما ما وقع قال سبحانه وتعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فإن الكفرة وقعت عليهم صفة الإرادة، والكلمة العظيمة من الحق وهي كن، فما وقعت إلا على محبوب مراد لله تعالى ولهم سعة الرحمة التي وسعت كل شيء، وإن وقع فيها ما وقع فإنما تملك أحكام حيطة ألوهيته فما في الخلق عنهم من نعيم وعذاب وراحة وبلاء ورحمة وانتقام، كلها أحكام الألوهية المحيطة فليس لغيره سبحانه وتعالى فيها شيء، فالأصل حينئذ الرحمة والمحبة في كل موجود وعلى هذا الحد يتنزل قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣] شملت المؤمن والكافر لأنهم من الناس، وقوله جلّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] إلى قوله: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّن خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠] وهي شاملة للمؤمن والكافر فهذا هو الأصل، وما في قوله جلّ جلاله وعزّ كماله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٥٥] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦] فإنما هذه أحكام الألوهية طرأت عليهم وهي عارضة والأصل الأول قال ﷺ في طابع الوجود: **«إن الله خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلقِهِ اخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَم»** هذا حديث صحيح وهذا الاختيار يشمل من بني آدم مؤمنهم وكافرهم، وهذا هو الأصل وهي المحبة والرحمة والتكريم الذي ذكره في الآية هو الأصل وما طرأ عليه بعد ذلك عوارض ستزول ويكون الرجوع إلى الأصل والسلام. انتهى ما أملاه علينا سيدنا رضي الله عنه، ومما يناسب ما تقدم في الآية السابقة شرح قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] قال سيدنا رضي الله عنه: الخلق في الآخرة ثلاثة أصناف: الصنف الأول: سهم الرضا منه سبحانه وتعالى. وهم الصديقون والأقطاب والنبيون والمرسلون وصنفهم سهم الرحمة، وفي هذا عموم الأولياء والصالحين والشهداء، وصنفهم أهل العفو والمغفرة وهم عصاة المؤمنين، ومعنى الرضا من الله هو إرادته للعبد غاية الترفيع والتعظيم والإجلال، والرحمة هي التقلب في أطوار الشهوات والملاذ المطلوبات والنعم المتواترات، وأهل العفو والمغفرة يعفو عنهم ويغفر أوزارهم وأما رضا العبد عن الله بالثبوت لما يجري عليه من البلايا والمحن، وهذا مخصوص ببعض الصديقين ومعنى الصديق هو من كمل صحوه من غرق المشاهدة، حتى يصير كحالة العامة، من يراه يقول هذا ليس بمدرك شيئاً ويعطي المراتب حقها من الحقبة والخلقية، قال بعض التابعين لابن سيرين رضي الله عنه، وهو من أكابر التابعين صحب كثيراً من الصحابة قال: كيف كانت الصحابة؟ قال: كالناس ثم أنشد بيتاً:

يحب الخمر من كاس الندامى ويكره أن تفارقه الفلوس

وأما الصنف الرابع وهم الأعلون، حيث قال تعالى في حقهم: يحبهم ويحبونه وهم أكبر من أهل الرضا المخصوصين بمحبة الذات العلية، وما ذكر قبل من الصديقين والأقطاب والنبيين والمرسلين فيه تسامح، لأنهم أهل المحبة الذاتية، فالناس حينئذ مذنبون وموفون بعهود الله وخاصة وخاصة الخاصة، فالمذنبون معلومون، والموفون بعهد الله هم طوائف المؤمنين من حفظ العهود ورعى الحدود، إلا أنهم أصحاب حجاب، فالمذنبون سهم العفو والموفون بعهد الله سهم الرحمة، والخاصة هم الذين انكشفت لهم صفات الله تعالى من وراء سبحات الجلال، فأذاقتهم لذة تلك المشاهدة، أن حملوا ما لا تطيقه الجبال من البلايا والمحن فهم خاصة الله من خلقه، وهم أهل الدرجة العليا، والطائفة الرابعة هم الذين انخرقت لهم جميع الحجب حتى وصلوا إلى محبة الذات العلية، وهم خاصة الخاصة فهم أكبر رتبة وأعلى منزلة من الذين قبلهم، وهم أهل شهود الصفات هم أهل الرضا منه سبحانه وتعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأما خاصة الخاصة فقد قال في حقهم: يحبهم ويحبونه فهم أهل الرتبة العالية لا رتبة فوقهم، وفي هذه المرتبة الصديقون والأقطاب والنبيون والمرسلون، لأن الصديقية تجمع الجميع فكل نبي وولي ورسول صديق ولا عكس، يقول سبحانه وتعالى في حق إبراهيم عليه السلام وهو من أكبر الرسل مقاماً قال فيه: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٤١] فالصديقية جامعة ولا عكس وأما محبة الله لهؤلاء الأكابر، هي إرادته بهم غاية التعظيم والاجلال والتكريم والترقيع، وأما محبتهم له سبحانه وتعالى فإنما يحبون ذاته العلية المقدسة لا لشيء، وهي

لا تعقل ولا تكف وإنما يعقلها من ذاقها وفي معنى هذا قال المرسي رضي الله عنه، أن لله عباداً يظهرهم في البداية ويسترهم في النهاية، وإن لله عباداً يسترهم في البداية ويظهرهم في النهاية، وإن لله عباداً يسترهم عن العامة ويظهرهم للخاصة، وإن لله عباداً ضن بهم عن الخاصة والعامة، فلا يظهر حقيقة ما بينهم وبينه حتى للحفظة فمن سواهم حتى يتوفى أرواحهم بيده فهم شهداء الملكوت الأعلى، وهم أهل الصف الأيمن من العرش، فهؤلاء خاصة الخاصة جعلنا الله منهم جميعاً بمنه وكرمه. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه، وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥] الآية. فأجاب رضي الله عنه بقوله: معناه أنه لا أحد أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [لقمان: ٢٢] الآية والوجهة هنا التي يسلمها إلى الله هي توجه القلب إلى الله تعالى بالإدبار عن كل ما سواه، يقول ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلى صُوَرِكُم وَأَعْمَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُم»** وفي رواية: **«إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُم وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلى قُلُوبِكُم وَأَعْمَالِكُم»** والإحسان فيها هو ما قاله ﷺ: في قوله في تفسير الإحسان: **«أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»** وقوله: **«وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا»** هو ما قال الله سبحانه وتعالى في حق سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام إذ قال له ربه: ﴿أَسْلِمْ﴾ قال: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] يفسره قوله ما ذكر الله عنه بقوله حيث قال لقومه: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: ٥٤] ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩] الخ الآية وأمرت هذه الأمة كلها باتباع ملة إبراهيم كما أمرنا نبينا ﷺ باتباع ملة إبراهيم وملته هو ما ذكر قبل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج: ٧٧] الآية وهذا الأمر باتباعه إنما هو تشريف لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد أعطى سيدنا إبراهيم من مقامه ﷺ الخضوع والتذلل لعظمة تجليه سبحانه وتعالى، فما رفع صوته بالغيظ على أحد قط لعظمة ما هو فيه من التجلّي لعظمة تجلّي الحق على قلبه بالعظمة والكبرياء ولذلك، لم يتجرأ عليه ﷺ بقوله: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف كما قال له موسى عليه السلام: لعظمة التجلّي على قلبه وقد أعطى جميع الأنبياء والرسل كل واحد أعطى نبذة من مقامه ﷺ لأنه هو الجامع المحيط، والنبيون والمرسلون كلهم نقط من بحره ﷺ وأما موسى تجرأ عليه ﷺ بطلب التخفيف كان في الوقت نظره إلى الرحمة الإلهية فلذلك تجرأ عليه ورده إلى طلب التخفيف وسيدنا إبراهيم عليه السلام لم يتجرأ عليه لعظمة تجلّي الحق على قلبه. انتهى ما أملاه علينا سيدنا رضي عنه الله **[وسألته رضي الله عنه]** عن قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠] **فأجاب** رضي الله عنه بما نصه: اعلم أن معناه فروا إليه بعبادته دون غيره، عبادة واستناداً واعتماداً والتجاءاً واختياراً له من جميع خلقه، وفي التعويل عليه والبراءة من جميع غيره مساكنة وملاحظة واعتباراً فهذا هو الفرار إلى الله. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه [وسألته رضي الله عنه] عن قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] [فأجاب] رضي الله عنه بقوله: هو خطاب منه سبحانه وتعالى في بساط الحكمة، ثم خطابه في بساط الحقيقة والمشيئة، هو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] ولذلك خلقهم، فهذا هو الواقع لأن خطاب المشيئة لا يتأتى انتفاؤه، وأما خطاب الحكمة يمكن انتفاؤه في بعض الموجودات، لأن أمر الله مسوق إلى المشيئة لا إلى الحكمة، والحكمة سجاف على المشيئة، قال صاحب الحكم رضي الله عنه: إلى المشيئة كل شيء ولا تستند هي لشيء. انتهى يعني، لا يقال لم شاء الله هذا ولم يعمل هذا فلا علة لاختياره ومشيئته سبحانه وتعالى، وكل الكون بأمره بارز عن المشيئة، فما شذ منه شيء قل أو جلّ عن المشيئة الإلهية، لأن التكوين من حيث ما هو، هو في جميع المكنونات إنما برز عن الكلمة الإلهية بقوله: كن والكلمة الإلهية مشروطة بتقدم المشيئة الإلهية، ما قال لشيء كن إلا بتقديم مشيئته على تكوينه، قال جلّ جلاله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فما تخلف المشيئة عن الكلمة الإلهية سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ [النساء: ٦٤] بإذن الله وذلك خطاب في عالم الحكمة، فلذلك وقع فيه التخلف وكفر كثير من الخلق بالرسل، ولو كانت طاعة الخلق مقررة في المشيئة، ما أمكن أن يعصي الرسل أحداً ولا أن يتخلف عنهم، قال سبحانه وتعالى لأكبر رسله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] فبين هذا أن هداية جميع الخلق للرسل ليست مقررة في المشيئة إذ لو كانت

في المشيئة لما وقع من العصيان من أحد للرسل، يقول سبحانه وتعالى لنبينا ﷺ: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ [الأنعام: ٣٥] حين كفروا وأعرضوا يريد ولم تصبر نفسك لهذا: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ٣٥] الآية يريد لكي يتبعوك ويؤمنوا بك ثم أظهر له أن ذلك الواقع منهم كان مشيئته سبحانه وتعالى، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥] أبان بهذا أن كفرهم كان عن مشيئته وصار له في هذا الخطاب إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩] أبان بهذا الخطاب سبحانه وتعالى، أن كفر الكافر وضلال الضال وإسلام المسلم وهداية المهتدي، كل ذلك بارز عن مشيئته الإلهية يقول ﷺ: «**بُعِثْتُ دَاعِياً وَلَيْسَ لِي مِن الهِدَايَةِ شَيء وَبُعِثَ إِبْلِيسُ دَاعِياً وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الغِوَايَةِ شَيء، إِنَّمَا ذَلِكَ صَادِرٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ التَّخَلُّفَ عَنْهَا لِأَحَد**» قال ابن العريف رضي الله عنه: يقول في الله تعالى ليس بينه وبين العباد نسب يصطفيهم لأجله أو يعطيهم لأجله ليس إلا العناية وهي المشيئة، ولا سبب إلا الحكم ولا وقت إلا الأزل، وما بقي فعمى تلبيس ومعنى الأزل الذي فيه وجود الحق وحده ليس لشيء فيه نسبة، قال ﷺ: «**كَانَ اللهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ فَفِي ذَلِكَ الوَقْت أَعْطَى مَا أَعْطَى وَفَضَلَ مَا فَضَلَ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الرِضَا وَالتَسْلِيم لِمَجَارِي الأَقْدَار وَتَفْسِيرِ الأَزَلْ**» من كلام سيدنا رضي الله عنه انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه. [وسألته رضي الله عنه] عن قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣] **فأجاب** رضي الله عنه بقوله: معنى الاجتباء، هو جذب الله تعالى العبد إلى حضرة قدسه بحكم الفضل والجود والعناية بلا تقدم سبب من العبد، والمجتبى يسمى محبوباً ومصطفى ومراداً ومعتنى به، فهذه الأسماء كلها أسماء للمجتبى وهذا الاجتباء سبق به الحكم الإلهي في الأزل بلا علة ولا سبب، ولذا قيل كم من صديق في الغبا وكم من عدو في العبا والغبا هو الجهل والضلال والكفر والمخالفة فهذه الأمور كلها لا تضر لأن العناية كافلة وشاملة له، وفي هذا يقول ﷺ في هند بنت عتبة وكانت في أعظم العداوة لله ورسوله وأكلت كبد حمزة رضي الله عنه غيظاً وحقداً قال: «**لَا يَجْتَمِعُ كَبِدُ حَمْزَةَ وَالنَّار فِي جَوْفِهَا أَبَدًا**» أخبر ﷺ بأنها سعيدة بأرباح العناية الأزلية ولم يضرها ما فعلت، والعبا هي العبادة والتقرب إلى الله تعالى فكم فيها لله من عدو يعني في الغيب أنه يموت كافراً، وكذلك ما وقع لعمير بن وهب حين كان قاصداً قتل النبي ﷺ وكان من صناديد قريش ومن شياطينهم، فلما رآه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الباب والسيف في عنقه، اغتاظ ودخل على النبي ﷺ وقال له: هذا عمير بن وهب دعني أقتله فإنه ما جاء لخير وهو الذي حزر للقوم يوم بدر قال ﷺ: دعه ثم أدخله عليه قال له ﷺ: ما جاء بك؟ قال له: جئتكم لتحسنوا إليَّ في هذا الأسير، وكان ابنه أسيراً فقال ﷺ: بل جلست أنت وصفوان بن أمية في الحجر وليس معكما غيركما وذكر له جميع ما تحدثا به إلى أن قال له: وجئت لتقتلني فقال له عمير: ولو كان معنا ثالث لقلت أخبرك بذلك وأنا الآن أيقنت أن خبرك حق، فأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وحسن إسلامه ثم رجع إلى مكة وصار يدعو الناس إلى الإسلام حتى أسلم معه خلق كثير، ثم دام على إسلامه رضي الله عنه فانظر هذا الاجتباء الذي اجتباه ربه فما أثر فيه عظم ذنبه ولا ما اقترفه من حوبه بل تمكن من صفاء صفوة النور الإلهي وألبس حلة القرب وصار عبداً خالصاً لله، قوله تعالى من يشأ أي بلا سبب ولا علة، بل بمحض الفضل والجود قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ أي من أناب إلى الله بصدق تقواه في معاملته لله تعالى بالصفاء هداه إليه حتى يوصله إلى حضرة قدسه، ولم يذكر الله في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلا الاجتباء قال سبحانه وتعالى في حق آدم عليه السلام ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى، وفي حق يونس عليه السلام فاجتباه ربه فجعله من الصالحين، وفي حق الأنبياء حين ذكرهم في سورة الأنعام بقوله: ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٧] فسلكوا الطريق إليه بذلك الاجتباء عليهم الصلاة والسلام وما ذكر في الآية من الاجتباء والإنابة في **الطائفة الأولى**: هم أهل الإنابة، وصاحبها يسمى مريداً ومحباً ومخلصاً وسائراً إلى الله قال سبحانه وتعالى في جزائهم: إنه يهديهم إليه جزاء لتقدم تقواهم، **والطائفة الثانية**: أخبر أنه اجتباهم بمحض المشيئة بلا تقدم سبب وصاحبها يسمى مصطفى ومجتبى ومخلصاً بفتح اللام ومقرباً ومحبوباً ومراداً ومعتنى به، وفي هذا يقول بعض الصوفية في سيدنا موسى عليه السلام وعلى نبينا ﷺ: أن سيدنا موسى عليه السلام لما أراد ربه الارتحال إلى الله والعروج إليه أمره بصيام ثلاثين يوماً متصلة ليلاً ونهاراً فلما كملت ثلاثون، أنكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب طلباً لزوال ما أنكره من فمه،

فعاتبه الله تعالى على ذلك السواك وأمره بزيادة عشر لتكمل أربعون ليلة، وأما سيدنا محمد ﷺ ليلة المعراج لم يأمره بعمل شيء، إلا الملك نزل عليه وقال له: قم فعرج به فكان سيدنا موسى عليه السلام مقامه المريد المحب، فأمر بتقدم السبب منه وسيدنا محمد ﷺ مقامه مقام المراد المخلص المجتبى فما أمره بتقدم شيء فاجتباه بلا سبب وقربه إليه بلا علة بل بمحض الفضل والجود والكرم. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه. **لطيفة**: قال سيدنا رضي الله عنه ما خلق الله لنفسه إلا سيدنا محمداً ﷺ، والباقي من الوجود كله مخلوق لأجله ﷺ معلل بوجوده ﷺ، لولا أنه خلق سيدنا محمداً ﷺ، ما خلق شيئاً من العوالم، فبان لك أن الوجود كله مخلوق لأجله ﷺ. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه [وسألته رضي الله تعالى عنه] عن قوله: ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود: ٥٥] الآية؟ **فأجاب** رضي الله عنه بما نصه اعلم أن سيدنا هوداً عليه السلام يريد بهذا أنكم وإن فعلتم ما فعلتم، ومكرتم ما عسى أن تمكروا، وتوجهتم بقوة هممكم إلى أي أمر تريدونه، قليلاً أو كثيراً، جليلاً أو حقيراً، لم تخرجوا في ذلك كله عن قبضة الله سبحانه وتعالى، ولن تفعلوا إلا ما سبق في مشيئته وعلمه، ولا سبيل لكم إلى شيء سوى ذلك ولن تجدوا إلى سوى ذلك حولاً ولا قوة ولا فيكم حركة ولا خطورة خاطر ولا توجه عزم إلا بالله عزّ وجلّ، ومن الله عزّ وجلّ مصدر ذلك كله عن حكمه وقضائه لا سبيل لكم إلى ما خرج عن هذا الميدان، وما أنتم إلا بمنزلة الهباء في الهواء تصرفكم رياح الأقدار الإلهية وحيث كان أمركم هكذا فإني رجعت إلى الله بالتوكل عليه والرضا بقضائه والثبوت لمجاري أحكامه عليّ غير ملتفت إليكم في شيء مما تخيفونني به، أو فيما تسعون فيه من هلاكي، فإني متحقق أن الله تعالى إذا سلطكم على نفذ حكمه بكم فيما أراده علي ولا حيلة لي ولا لكم في صرف ذلك وما لم ينفذ به حكمه في مما يجريه على أيديكم فلا سبيل لكم إليه إن ربي في هذا الحد على صراط مستقيم، تجري الأمور كلها على طبق مشيئته وحكمه في سابق علمه من أفعال المختارين وأفعال الجمادات، الذين لا اختيار لهم كل ذلك مستو عنده لا ينفلت من ذلك شيء عن حكمه وطبق مشيئته، فلا يكون شيء إلا ما سبق في علمه وحكم به في مشيئته، وما سوى ذلك فمحض العدم. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه [وسئل رضي الله عنه] عن قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ﴾ [هود: ١٠٦] الآية [فأجاب] رضي الله عنه بقوله: معناه يحتمل ما دامت سموات الآخرة وأرضها وهي باقية إلى الأبد، كأنه يقول خالدين فيها أبداً وقال بعض المفسرين هي صيغة تستعملها العرب إذا أرادت الدوام الذي لا غاية له، قالوا ما دامت السموات والأرض وقوله: إلا ما شاء ربك فمعنى الاستثناء في الآيتين، هم عصاة المؤمنين الذين ينفذ فيهم الوعيد، فإن لهم حظاً من الشقاوة لكثر جرائمهم ومعاصيهم يدخلون النار مع الكفار، ثم إنهم يخرجون منها بإيمانهم فهو محط الاستثناء في أهل النار ولهم حظ من السعادة بإيمانهم، وهو محط الاستثناء في أهل السعادة. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه [وسألته رضي الله عنه] عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] الآية **فأجاب** رضي الله عنه بقوله: معناه يصح أن يقال هم جميع الأمة المكلفون بأحكامه، والقول هذا أنهم لجميع الأمة إذ ذاك الذي تقتضيه الأخبار فيما ورد في فضل الأمة المحمدية، فإنه جميع من دخل تحت دائرة الشهادة بالتوحيد والرسالة، فقد روي أن القلم لما أمره الله بالكتابة كتب في أمم الرسل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، في كل أمة كتب في اللوح من أطاع الله دخل الجنة ومن عصى الله منهم دخل النار، وأمره الله بهذه الكتابة في أمم الرسل كلها ولما كتب أمة محمد ﷺ، وأراد أن يكتب فيهم كما كتب في الأمم قبلهم فقال له ربه تأدب يا قلم فارتعد القلم من هيبة الله وقال رب ما أكتب قال اكتب أمة مذنبة ورب غفور هكذا كتب في الأمة المحمدية، وقد قال ﷺ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ دَعْوَةً مُعَجَّلَةً يُرِيدُ يُعَجِّلَهَا فِيمَا يَشَاءُ وَأَنَا خَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَتِي لِأَهلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئًا**» هذا نص الحديث لكن لا بدّ من طائفة من هذه الأمة ينفذ فيهم الوعيد الاحتمال الثاني في الآية أنهم حملة القرآن فقط، بدليل قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأعراف: ١٦٩] الآية وعلى كل حال فهم مصطفون عند الله تعالى، ظالمهم ومقتصدهم وسابقهم كلهم عمتهم الصفوة الإلهية، قال سبحانه وتعالى: في وعدهم ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد: ٢٣] الخ الآية وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] الآية، يصح أن يقال فيهم هم الصحابة فقط لاستكمالهم هذا المطلب العظيم من الآية، ويصح أن يقال هم جميع الأمة والكل صحيح، فإن الأمة لا تخلو ممن هذا وصفه إلى الأبد. اهـ ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه [وسألته رضي الله تعالى عنه] عن قوله تعالى: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] في حق سيدنا

إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعن قوله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [مريم: ٧] الآية وعن قول سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٥٥] الآية؟ **فأجاب** رضي الله عنه بما نصه قال: اعلم أن أحوال الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يليق لأحد أن يبحث فيها، لأن حركاتهم وسكناتهم سائرة مع الذوق وليس لغيرهم ذلك، فلا يبحث في أحوالهم إلا من ذاق مذاقهم، وهذا الباب ممنوع عن كافة الخلق مسدود، فليس إلا التسليم لهم في أحوالهم، وقد قال بعض من لا علم له في حق سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام في قوله: أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين لمن بان ذلك منه بعض رغبة في الدنيا، تحيل على الكرسي أن يأخذه في زمن كفرهم ليكون حلالاً له قبل إسلامهم لأنهم إن أسلموا حرم عليه، وهذا الترامي على الأنبياء حرام مستحيل لا يحل ولا يأتي ولا يبحث هذا البحث في جنابهم إلا من ذاق مذاقهم، ومذاقهم ممنوع عن كافة الخلق كما قدمنا فلا يسوغ الكلام في جانبهم بشيء فلم يبق إلا الرضا والتسليم، وكذلك ما قالوا في حق سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام حيث قال: ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠] مع علمه بأنه لم يقع منهم شيء، وإنما أراد السرقة بقوله حين سرقوه من أبيه والسلام. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه [وسألته رضي الله عنه] عن قوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] **فأجاب** رضي الله عنه بقوله: الخلق ههنا ما ظهرت به عين ذات الوجود، وهي الصورة المرئية الحمارية في الحمار والآدمية في الآدمي والجملية في الجمل والشجرية في الشجر والجمادية في الجمادات والحيوانية في الحيوانات، وسر مع تفاصيل الوجود ذرة ذرة، هذا معنى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى المراد بالهداية هنا الهداية العامة وهي تعم الحيوانات والجمادات والمؤمن والكافر، وهي السير في التيار الذي أقامه الحق فيه سبحانه وتعالى، من حيث أنه آخذ بجميع نواصي الموجودات، يقودها لما يريده. إطلاقاً وعموماً، ما يشذ موجود عن هذا المسيار لقول المعصوم سيدنا هود عليه السلام: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦] في هذا الميدان لا يشذ عن هذا المسيار شيء من الموجودات، وكل ما في الوجود داب جامده ومتحركه، فالجمادات ألبسها سبحانه وتعالى أرواح الحياة بها تسبح الله وتقدسه وبها تخر ساجدة لله تعالى لعموم الآية ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [الحج: ١٨] الآية وبأرواح هذه الحياة فيها صارت عارفة بالله لأنها لا تسجد ولا تسبح إلا لكونها عارفة بالله تعالى، إلا أن معرفتها وسجودها له من حيث لا تدركه، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] ومعنى قوله تعالى: إن ربي على صراط مستقيم، سيره في هذه الجادة لا يختل نظامه ولا يقدر شيء من الموجودات أن يستعصي عن أمره، قال الشاذلي رضي الله عنه: إن الكافر وإن لم يجب داعي إيمانك فقد أجاب داعي سلطانك فالكل ممتثلون لأمرك، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١] قالتا أتينا طائعين لا يستعصي عليه شيء من الموجودات، قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ فكل موجود يسبح الله تعالى غير الكافر فإنه لا يسبحه أعضاؤه تسبح الله لكن من غير شعور منه. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه. [وسألته رضي الله عنه] عن معنى قوله تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠] الآية مع حديث آدم عليه السلام في السماء الأولى وحوله نسم بنيه الحديث؟ **فأجاب** رضي الله عنه بقوله: اعلم أن الروح الإنساني من حيث ما هي هي يمكن لها أن تتراءى في الآن الواحد في أمكنة شتى لا يصعب عليها هذا القدر، وكونها تحت الأرض لا يصعب عليها أن تتراءى فوق السماء هذا الجواب الأول، والجواب الثاني: إن في أمر النبوة على أربابها أفضل الصلاة والسلام أنه يتأتى له في الآن الواحد أن يرى العالم كله بين يديه عن يمينه وعن شماله قاضيه ودانيه، لا يصعب عليهم هذا فكون آدم عليه السلام، وهو رسول الله وخليفته يرى نسم بنيه على اختلاف طبقاتهم، وتباين مراتبهم، واختلاف أمكنتهم، بالقرب والبعد يراهم كلهم، حذوه عن يمينه وعن شماله وهو من هذا الحد الذي ذكرنا والسلام.

قلت: والإشكال بين الآية والحديث هو إن أرواح الكفار لا تفتح لهم أبواب السماء وآدم عليه السلام يراها عن شماله وهو في السماء، فهذا هو الإشكال الذي أجاب سيدنا رضي الله عنه. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه. [وسألته رضي الله عنه] هل في أجداده عليه الصلاة والسلام من ليس بمؤمن، كما يفهم من جهال بعض أهل السير من جلبهم لكثرة الأخبار صحيحة أو غير صحيحة؟ [فأجاب] رضي الله عنه بقول: اعلم أن أجداده ﷺ كلهم مؤمنون من أبيه عليه السلام إلى سيدنا آدم عليه السلام، فقال له السائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ

إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ [الأنعام: ٧٤] فأجاب رضي الله عنه بقوله: إن آزر هو عمه، ولو كان أباه أصلياً ما ذكر آزر بعد أبيه يكفيه الأب، ويدل على هذا استغفاره لوالديه في آخر عمره، بعدما أخبر الله أنه تبرأ من أبيه بقوله: فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه وفي آخر عمره قال: رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين، ولو كان أباه ما تبرأ منه وفي عين التحقيق أن الله قدس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما أخرج نبياً من نطفة منجسة بالكفر، وفي الحديث يقول ﷺ: **«لَمْ يَزَلِ اللهُ يَنْقُلُنِي مِنَ الأَصْلَابِ الطَّاهِرَةِ إِلَى الأَرْحَامِ الزَّكِيَّةِ»** الخ الحديث وفي الحديث الآخر قال ﷺ: **«بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا لَمْ تَفْتَرِقْ شُعْبَتَانِ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيْرِهِما»** الخ الحديث. ولعل من يقول إن الخيرية فيهم مع كفرهم بما تنال الناس من الخير والسخاء والصفح والتجاوز ومكارم الأخلاق، وهذه توجد في الشخص الكافر بالله تعالى قلنا: إن الخيرية فيهم هي خيرية الإيمان، إذ لم يكن عصر من عهد آدم إلى عصره ﷺ. ما خلت فيه الدنيا يوماً واحداً من ظهور الأولياء في الأرض، يدفع الله بهم البلاء عن أهل الأرض وخيرية الكافر على المؤمن مستحيلة شرعاً فدل خبره ﷺ على أن كل أب من آبائه أفضل من أولياء عصره ما عدا النبوة، فدل أنهم مؤمنون بقوله: **«بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا لَمْ تَفْتَرِقْ شُعْبَتَانِ»** الخ **قلنا** وهكذا جميع النبيين ما أخرج الله نبياً من نطفة منجسة بالكفر قط، لأن الكافر نجس لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٥٥] الآية وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة: ٦] إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦] دل هذا أن الخيرية في الإيمان فقط ولا خيرية في الكفر، فحصل لنا من هذه الأدلة القطع بأن آباءه عليه الصلاة والسلام كلهم مؤمنون، وأما ما ذكر في آزر أنه ليس من أجداده كما تقدم، وحصل لنا من هذا البحث صحة القطع أنه لم يقع في صلب كافر ﷺ قط من لدن آدم عليه السلام إلى وجوده ﷺ، ودل أيضاً على أن كل أب من آبائه ﷺ أفضل من أولياء عصره كما قدمنا وهذا خاص به، للحديث لم يلتقيا على سفاح قط، من آدم إلى وجود ذاته الشريفة ﷺ دون غيره من الأنبياء، وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فلم يكن هذا إلا في آبائهم المباشرين لهم، وأنه لم يكن كافراً فيهم انتهى.

قال شيخنا رضي الله عنه في فضل سيدنا علي كرم الله وجهه قال: وفي الحديث عنه ﷺ: **«كُنَّا أَنَا وَعَلِيٌّ نُورَيْنِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى ثُمَّ أَوْدَعَنَا فِي صُلْبِ آدَمَ فَلَمْ يَزَلْ يَنْقُلُنَا مِنْ صُلْبٍ إِلَى صُلْبٍ إِلَى عَبْدِ المُطَّلِبِ فَخَرَجْتُ فِي عَبْدِ اللهِ وَخَرَجَ فِي أَبِي طَالِبٍ ثُمَّ اجْتَمَعَ نُورُنَا فِي الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ فَهُمَا نُورَانِ مِنْ نُورِ رَبِّ العَالَمِينَ»** وقال سيدنا رضي الله عنه ما يصل شيء في الوجود من العلم مطلقاً إلا من صهريج علي رضي الله عنه، لأنه باب مدينة علمه ﷺ، لا من الخلفاء الأربعة ولا الصحابة بأجمعهم، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما انقسم العلم كله عشر أجزاء تسعة لعلي ما شاركه فيها أحد، والعشر كله مقسوم بين الخلق، وكان أعلم الخلق بالعشر الباقي، وأما قوله عليه الصلاة والسلام: في أبي بكر: **«مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلَا غَرَبَتْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ عَلَى أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ»** الحديث **قلنا**: إن الأفضلية في الشخص ليست من كل وجه إلا في شخص واحد فهو أفضل وأعلى في جميع الوجوه وهو هو ﷺ، يقول عليه الصلاة والسلام: **«فِي كُلِّ أُمَّةٍ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي فَعُمَرُ مِنْهُم»** فهذه الأفضلية لعمر والمحادثة مرتبة علية ودرجة زلفى يختص الله بها من أحبه من الصفوة الكبرى فعمر منهم، واختص أبو بكر بمرتبة الإيمان والسر واختص علي بمرتبة العلم الباطن الحقيقي لا العلم الظاهر المحدث بفتح الدال، وهو الذي قيده الله في حضرته، فهو أبداً يحدثه، والمحدث بكسر الدال هو الذي يتلقى الخطاب عن الحق في حضرته ثم إلى غيره انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه **وسألته رضي الله عنه** عن قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠] الآية **فأجاب** رضي الله عنه بقوله: معنى البحرين بحر الألوهية وبحر الوجود المطلق وبحر الخليقة، وهو الذي وقع عليه كن وهو البرزخ بينهما ﷺ، لولا برزخيته ﷺ، لاحترق بحر الخليقة كله من هيبة جلال الذات، قال سيدنا رضي الله عنه بحر الخليقة بحر الأسماء والصفات، فما ترى ذرة في الكون إلا وعليها اسم أو صفة من صفات الله، وبحر الألوهية هو بحر الذات المطلقة التي لا تكيف ولا تقع العبارة عنها يلتقيان لشدة القرب الواقع بينهما، قال سبحانه وتعالى ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ولا يختلطان لا تختلط الألوهية بالخليقة ولا الخليقة بالألوهية، فكل منهما لا يبغي على الآخر للحاجز الذي بينهما، وهي البرزخية العظمى التي هي مقامه ﷺ، فالوجود كله عائش بدوام بقائه تحت حجابيته ﷺ، استتاراً به عن سبحات الجلال التي لو تبدت بلا حجاب لاحترق الوجود كله وصار محض العدم في أسرع من طرفة عين، فالألوهية قائمة في حدودها، والخليقة قائمة في حدودها، كل منها يلتقيان ولا يختلطان للبرزخية التي بينهما لا يبغيان، أعني لا

يختلط أحدهما على الآخر. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه **وسألته رضي الله عنه** عن دائرته ﷺ؟ **فأجاب** رضي الله عنه بقوله: هي دائرة السعادة التي وقع عليها قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] قال البوصيري رضي الله عنه: ولن ترى من وليٍّ غيره منتصراً. البيت كل من لم ينتصر بالنبي ﷺ، لا حظ له في ولاية الله وهو معنى قول الشيخ رضي الله عنه: ولن ترى من وليٍّ الخ وقوله: أحل أمته في حرزملته. البيت أراد أنه ﷺ أدخل أمته المخصوصة بالسعادة، أدخلها في حرزملته كالشيء المحبوب العظيم الذي يكنز في غاية الحرز فإن الذهب والياقوت في علوه لا يوضع إلا من وراء الأقفال حرزاً له وتحصيناً، كذلك هو ﷺ أحل أمته المخصوصة في حرزملته فانطبقت عليهم السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة وهذا من حيث التخصيص الإلهي لأمته التي هي قسم السعادة جعلنا الله منهم بمحض فضله وكرمه آمين. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه **وسئل رضي الله عنه** عن بعض الآيات الواردة في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال السائل: بعد أن وقفت على كلام العلماء وما قالوا فيهم وما نسبوه لصفوة الله من خلقه، مما لا يليق بمنصب الرسالة النبوة والملكية منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] ومنها قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] وغيرهما مما سيأتي ذكره إن شاء الله بعد؟ **فأجاب** رضي الله عنه ومتعنا بطول بقائه وسقانا من بحر عرفانه وأدام علينا حبه من الآن إلى الاستقرار معه في أعلى عليين آمين، قال رضي الله عنه: اعلم أن الذنوب في حق الأنبياء التي هي اقتحام المنهي شرعاً مستحيلة في حقهم، لا تتصور منهم لثبوت العصمة لهم مما دق أو جل منها، والذي وقعت فيه المغفرة منه في حقهم عليهم الصلاة والسلام، هي التي تصدر من الأنبياء بلسان الإباحة الشرعية، لكن يتناولها طلب الترك من وجه إجمالي لا تصريحي وطلب الترك ههنا ليس المحرم شرعاً، وإنما يطلب ترك ذلك الأمر وإن كان في نفسه مباحاً تنزيهاً لعلو مقامهم بالتدنس بملابسة ذلك المباح الذي تناوله وجه طلب الترك، من وجه آخر، فإن المباحات في حق الأنبياء منقسمة قسمين قسم يتمحض فيه حكم الإباحة من وجه ويتناوله طلب الترك من وجه أو وجوه، فهذا إن تفطنوا له وعلموه تركوه ولم يقتحموه، وإن غفلوا عن وجه طلب الترك فيه واقتحموه لأجل ما فيه من الإباحة شقع العناب لهم، وهذا هو الذنب المعهود في حقهم ولتعلم أن هذا الذنب لم يكن من قسيم المحرم عليهم برعا، ولا من قسيم ما سمعوه من طلب الترك في عينه بل هو داخل في جملة طلب الترك فهو ليس بذنب شرعاً، وإنما أطلق عليه اسم الذنب مجازاً، وإن كان مباحاً لغيرهم منّ العامة وطلب منهم تركه لعلو مقامهم فهو كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين، **فهذا الذنب** هو في نفسه مباح شرعاً ولكن طلب منهم تركه لأجل تنزيه المقام لعلو جلالهم، وأما ما ذكر من الغفلة فليست هي الغفلة المعهودة في حق العامة وهي الإعراض عن مطالعة الحضرة الإلهية، ولكن الغفلة ههنا في حقهم هي النسيان، والنسيان غير مستحيل في حقهم لأنهم جبلة بشرية فقد قال ﷺ: **«إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي»** وكما في قضية حديث ذي اليدين حيث سلم من ركعتين في الرباعية ﷺ فقال له ذو اليدين: أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله، فقال له ﷺ لم تقصر ولم أنس فقال له بلى نسيت، فلما قال له ذلك سأل ﷺ أبا بكر وعمر فقال لهما أحق ما يقوله ذو اليدين فقالا له: نعم، فرجع للصلاة وأكملها، فظهر لك من هذا الخبر أن النسيان يطرأ على الأنبياء بتصرفات الأحكام الشرعية، وهي الصلاة وهي أعظم ما يطلب شرعاً ونسي ﷺ بعض أجزائها فهو دليل أن النسيان في تصرف الأحكام الشرعية غير مستحيل في حقهم بشاهد الحديث، ولتعلم أن النسيان المذكور هنا هو غير الملحوظ في قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ [الأعراف: ٥١] فإن ذلك هو تعمد الترك للعمل بأمر الله مع العلم به ونسيانه، ولكن النسيان ههنا هو الترك فقط، والنسيان المعبر عنه في حق الأنبياء ينقسم قسمان فقط لا ثالث لهما **القسم الأول**: هو الطارئ بالجبلة البشرية وهو نسيان الحكم في الأمر وعدم وقوعه في بال الشخص فهذا صاحبه معذور لا يؤاخذ به شرعاً. **والقسم الثاني من النسيان**: أن يطرأ على أكابر الصديقين والأنبياء في حضرة ذي الجلال سبحانه وتعالى من التجليات والواردات، مما يذهل العقل وينسيه الأحكام التي كان يعلمها أو بعضها، بسبب السطوة الطارئة من التجلّي أو الوارد فهذا أيضاً كالنسيان الجبلي إذ صاحبه معذور وهذه هي وجوه النسيان في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قلت للشيخ رضي الله عنه: وهل يطرأ النسيان على الرسل قبل تبليغ ما أمروا به كما طرأ بعد التبليغ؟ قال: لا ولو نسي شيئاً مما أمر بتبليغه للخلق لبعث إليه الملك وذكره به ليتم الدين الذي أراده سبحانه وتعالى، لأنه هو

الحافظ له حتى يكمل ما أراده من شرعه قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦، ١٧] لأنه كان ﷺ، يعجل بقراءة ما يسمعه خوفاً من النسيان ثم قال رضي الله تعالى عنه: وإنما وقعت المعاتبة على النسيان الطارئ بسبب الجبلة أو بسبب الواردات لعلو مقامه ولطلب تنزيهه مما يدنسه، فهذا وجه الغفلة عن وجه طلب الترك فيما تمحض فيه حكم الإباحة ومثال ذلك في قضية نوح عليه الصلاة والسلام، حيث غرق ولده بعد ما سمع من الله أن أهله ناجون فتحير، وسأل الله تعالى عن ذلك كما في القرآن إذ وجه الإباحة أن السؤال مباح له في طلب تحقيق ما أشكل عليه مما ذكر عنه في الآية وهذه القضية يتناولها وجه طلب الترك، مما عرف في شرائع جميع الأنبياء من طلب ترك البحث عن سر القدر لاختصاص الحق به، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ولما غفل عن هذا الوجه لكونه يتناول القضية والغفلة، طرأت عليه لأحد القسمين اللذين ذكرناهما لا القسم الثالث عوتب حينئذ لغفلته، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦] الآية وكقضية موسى عليه الصلاة والسلام في قتل النفس، فإن وجه الإباحة فيها أنها كافرة أصلية لا عهد لها ولا ذمة تترك لأجلها، وظلمت بما فعلت بالإسرائيلي الذي استغاث به، ولما عليه من نصرة المظلوم إذا كان يقدر عليه ولم يكن فك الإسرائيلي منه إلا بضربه فوكزه غير قاصد لقتله فقضى عليه، وكل هذه الوجوه مصرحة بالإباحة، وقتله كان خطأ غير قاصد له ووجه طلب الترك فيها أن أرواح الكفار وإن كفروا، لم يبح إراقة دمائهم إلا بالإذن الإلهي والإذن الإلهي لا يكون إلا بعد تبليغه دعوة الرسالة وإبايتهم عن أمر الله تعالى وتلددهم بعد الإنذار والتلوم فحينئذ يأذن الله في قتلهم، وقتالهم للرسل فلما لم يكن شيء من هذا الذي يرفع طلب الترك وإن كثرت فيه وجوه الإباحة كان العتاب واقعاً من هذا الباب، فلما تفطن موسى عليه السلام لهذا قال: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥] الآية وكقضية نبينا عليه الصلاة والسلام، حيث استشار أصحابه رضي الله عنهم في أسرى بدر فأشار بعضهم بالقتل وبعضهم بالعفو. وأخذ الفداء، فنزلت الآية قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧، ٦٨] وقوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] بعد قوله أمسك عليك زوجك الآية، وأمثال هذه وكقول سيدنا يوسف عليه السلام للذي نجا منهما اذكرني عند ربك وقس ما لم يذكر على ما ذكر حاله.

إن الأمور المطلوبة فعلاً وتركاً في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام **الأول**: طلب الفعل كالواجبات فلا يمكن تركه من النبي. **الثاني**: طلب ترك الفعل كالمنهيات فلا يمكن ارتكابه من النبي وما بينهما فهو فيه بالخيار، لكن هذا ينقسم أيضاً قسمين: قسم يقع الإذن فيه بعينه إما بفعله أو تركه وهذا لا عتاب فيه والقسم الثاني: لا يسمع الإذن فيه وهذا تارة: المطلوب تركه من النبي ويفعله كالأمثلة المتقدمة في الآيات لعدم علمه به أو لغفلته عنه وتارة: العكس وهو طلب فعله من النبي ويتركه لما ذكرناه من غفلته عنه أو عدم علمه به، فهذا القسم من المباح هو الذي يقع العتاب عليه لصفوة الله من خلقه، أو العتاب والمؤاخذة ما عدا سيد الوجود ﷺ، والمؤاخذة المذكورة هي ببعض مصائب الدنيا وبلاياها فقط، وهذا التحصيل فهمته من كلام الشيخ وليس هو لفظه ثم قال رضي الله عنه: ولا يقال الغفلة عن بعض هذه الأمور التي عوتب عليها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جهل في حقهم فإن الجهل المستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام، إنما هو الفعل الصادر عن متابعة الهوى، والغفلة عن حضرة الله تعالى بانهماك النفس في شهواتها والولوع بمألوفاتها أما من استغرق في مشاهدة حضرة الله تعالى في جميع لحظاته مع كمال مراعاته لأدب الحضرة الإلهية، مع توفيقه بما يلزمه من القيام بالحقوق الإلهية ولا يلتفت لهوى نفسه حتى في أقل قليل، فإن هذا لا يلم بساحته الجهل إلا أن هناك أموراً في الحضرة الإلهية لم يصل إليه العلم بها، ولا يقال إنه جاهل بها لأن الجهل انتفى بالصفة المذكورة، وإنما ذلك من عدم الإحاطة بأمر الله إذ علم الله لا يحيط به محيط، فلا يعلمون من وراء المرتبة التي ينتفي الجهل بها إلا ما أعلمهم به وما لم يعلمهم به بقي محتجباً عنهم لعدم إحاطتهم بعلم الله قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قلت: للشيخ رضي الله عنه فما هو الفتح المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال: هو فتح الحديبية قال تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

قلت له: ذكر صاحب الإبريز أنه المشاهدة قال لي: معاني القرآن واسعة والشيخ مسلم له فيما قاله لأنه صاحب بصيرة نافذة، وكذلك ما قاله في قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ الآية لأن النبي ﷺ مفتوح عليه في صغره ولم يكن

صاحب حجاب حتى يقال إنه فتح عليه في ذلك الوقت، والله أعلم بما أراد ذلك الشيخ وإذا فهمت هذا علمت أن الذنوب التي ذكرت في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، والأفعال التي تصدر منهم في صورة المخالفة ليست بذنوب حقيقية، وإنما هي مباحة في نفس الأمر لهم أي في شرع كل من فعل ذلك الفعل، وإنما وقع العتاب والمؤاخذة في الدنيا ببعض مصائب الدنيا كما قدمنا، حاشا سيد الوجود ﷺ فإنه لم يقع له شيء من المؤاخذة على ما فعله وهو المعبر عنه بغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر، كما حكى الله عن سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ [ص: ٣٤] هي مؤاخذته على ما صدر منه عليه الصلاة والسلام، من قوله: لأطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن تأتي بفارس يقاتل في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله فعوتب بشق إنسان كما في الخبر قال ﷺ: ولو قال سليمان إن شاء الله لكان ما قال انتهى، فقول سيدنا سليمان عليه السلام مباح ولكن عوتب للأمر الذي ذكره شيخنا رضي الله تعالى عنه فيما تقدم كما بينه الحديث، والله أعلم بذلك وكذلك من هذا القبيل، ما وقع لصاحب الحوت عليه السلام حين خرج من قومه فارّاً بنفسه كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] الآية فعاقبه الله بالتقام الحوت وإن كان خروجه مباحاً لأنه لله لا لنفسه، ولكن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يؤاخذون بمثل مثاقيل الذر، لعلو مرتبتهم عند الله تعالى كما قدمنا وذكر صاحب الإبريز عن شيخه رضي الله عنه معنى مغاضباً أي غاضباً عليهم حيث تركوا ما فيه رشدهم وصلاحهم من الإيمان به، والاستسلام لأمره حتى نزل بهم أمر الله تعالى وعذابه، بحسب ما يظهر للناظر فإن العذاب كان فوق مساكنهم فلما رأى يونس ذلك غضب وأبق إلى الفلك المشحون وأما قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فمعناه أنه ظن أن لن نهلكه بما أهلكناهم وذلك أنه لما رأى أمارة العذاب فر عنهم ظاناً النجاة وأنه لا يصيبه ما أصابهم، فأراه الله تعالى نوعاً آخر من القدرة لم يكن في ظنه عليه السلام، فلما رأى ذلك نادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فاستجاب له ربه ونجاه عزّ وجلّ. انتهى ملخصاً من الإبريز.

قلت: وفعله هذا كله مباح، ولكن عوتب لأجل الوجه الذي ذكره سيدنا رضي الله عنه والله أعلم، وأما ضر سيدنا أيوب عليه السلام الذي شكى منه، فإنما فيما حكى عنه أو زوجته عليها السلام باعت ضفيرة من شعر رأسها لتأخذ له بعض ما يحتاجه، فلما سألها وأخبرته بالواقع أدركه ما يدرك أهل الهمم العلية والنفوس المتعالية عن سفساف الأخلاق من العار الذي وجده في نفسه من العوض بشعر حليلته، ففزع إلى الله تعالى حينئذ من هذا الضر الذي لعقه ونادى: ﴿رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣] الآية انتهى.

وسألت شيخنا رضي الله عنه عما ذكره بعض المفسرين في حق سيدنا داود عليه السلام وأنه تمنى كذا بقلبه وأمر الرجل بكذا ليفعله وكذا وكذا؟ **فأجاب** رضي الله عنه بقوله: قال معاذ الله أن يصدر هذا من المعصوم وإنما حكى الله عنه، أن الخصمين اختصما في نعج من الغنم لا غير، كما قال الله إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة إلى قوله وأناب، ومن المعلوم عند المحققين أن القرآن لا يفسر إلا بالخبر الصحيح لا يصرف عن ظاهره إلا إذا كان ظاهره يلزم منه المحال، وكلا الأمرين منتف هنا فلا خبر صحيح مفسر للآية يعتمد عليه ولا قرينة تصرفها عن الظاهر، وإذا فهمت هذا تبين لك أن الآية على ظاهرها وليس كما قيل من التأويل الذي لا ينبغي أن يذكر حتى في صالحي عامة المؤمنين، فكيف يقال في صفوة الله هذا التأويل الشنيع نعوذ بالله من التخليط.

وقلت للشيخ رضي الله عنه: فمما تاب سيدنا داود عليه السلام قال: رضي الله عنه من ظنه أنه أخطأ في الحكم فقط لا غير، هذا كما أخبر الله عنه وظن داود أنما فتناه الآية، فانظر رحمك الله هذه الطريقة البيضاء، التي كل من سلكها باعد موارد لظى فاستمسك بهذا الحبل المتين، واترك عنك كل تأويل صادر من تخيل العقل الخشين، لتكون من المحسنين **قلت لسيدنا رضي الله تعالى عنه:** فإذا كان توبته مما ذكرت، فما معنى قوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ [ص: ٢٥] قال لي: غفر له ظنه قلت: له ظنه ليس بذنب في نفس الأمر قال: أكابر الصديقين ليسوا كغيرهم فإنهم يؤاخذون بمثاقيل الذر كما قدمنا، لأن الحضرة مطلوبة بالأدب فمن كان في حضرة الحق وغفل أو نسي لو في أقل قليل، يؤاخذ ولم يعذر كغيره، وإن كان في ظاهر الشرع غير ذنب كما حكى الله عن سيدنا آدم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، ذكر عذره وعاقبه بالنزول إلى الأرض، ويأتي بيانه إن شاء الله تعالى، وذكر الشيخ رضي الله تعالى

عنه ما يعضد هذا من الحكايات في أدب أهل الحضرة منها، أنه قال: كان سري السقطي رضي الله تعالى عنه ذات يوم جالساً فمد رجله ثم ردها بالعجلة وأخذ يتضرع إلى الله عزّ وجلّ ويقول: لا أعود لمثلها أبداً، فقال له بعض الفقهاء وكان بحضرته، فما هذا فلا شيء عليك أو لا حرج، فقال له: لا بأس عليك أنت ولا شيء والفقيه قال له ذلك لأن مد الرجل مباح في الشرع والمباح لا مؤاخذة فيه، ولم يدر أن الأكابر مطالبون بالأدب في كل وقت ولو في النسيان كما قدمنا، ومنها أنه قال: كان رجلان في سفينة، وكانا أخوين في الله تعالى، فلما كان ذات يوم رأى واحد منهما حبة طعام ساقطة فرماها في فيه فنهره الآخر وقال له: ما هذا التجاسر فأخذ يعتذر إليه بالنسيان والغفلة، فلم يقبل عذره وقال له: لا أصحب من يغفل عن الحضرة ورمى بنفسه في البحر، وتغيب عنه فلما وصل إلى البيت الشريف رآه يطوف فتعلق به فقال له: لولا الأخوة في الله تعالى بحقها لم ترني، ولم أصاحبك فقال له: إني تائب لله فقبله وصحبه، فإذا كانت هذه الآداب في حق أولياء الله تعالى فما بالك بصفوة الله تعالى من أنبيائه ورسله فهم أولى بمطالبة الآداب وعدم الغفلة، فإذا فهمت هذا أذكر لك ما وقع لسيدنا آدم عليه السلام، إلى هبوطه إلى الأرض وخروجه من الجنة، لتتأدب مع الحضرة وتعلم ما تقول قال شيخنا رضي الله تعالى عنه: فهو في الصورة مؤاخذة وفي الحقيقة للكمال والاصطفاء والاجتباء، لأنه أهبطه إلى الأرض ليكون خليفة تصديقاً لقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] فأظهر في حكمته ما سبقت به مشيئته، وأما قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] فهي في الصورة لا غير، بدليل أنه سبحانه وتعالى ذكر عذره بقوله جلّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] والمعلوم في الشرع أن الناسي لا يؤاخذ، ولكن الكمل من عباده ليسوا كغيرهم كما قدمنا، فقلت لسيدنا رضي الله تعالى عنه: فإذا كان مخالفته ليست بذنب فمم ذكر الله تعالى توبته؟ قال: من صورة المخالفة لأنها في الظاهر ذنب وإن كانت في نفس الأمر ليست بذنب لأنه فعلها ناسياً كما ذكر الله عنه في الآية والناسي لا ذنب عليه في الشرع وإنما العتاب والمؤاخذة للغفلة عن الآداب، وعدم العلم بالوجه المطلوب فعلاً أو تركاً كما تقدم، وقال شيخنا رضي الله تعالى عنه: إن في أكل آدم من الشجرة آية للمعتبرين، وأسوة للتائبين من إظهار باهر قدرة الله تعالى، وعجائب صنيعه وموافقته لما سبق في مشيئته من اجتباء آدم وخلافته، بسبب مخالفة وطرد إبليس ولعنه وإهانته بعد اصطفائه وتعبه بكثرة عبادته، لتعلم أن الشقاوة والسعادة ليستا مرتبطتين بالعلل والأسباب، وإنما السعيد من سعد في الأزل والشقي كذلك ولهذا لم تنفع الملعون كثرة الأسباب، وذلك أن إبليس لعنه الله لما طرد بسبب مخالفته لأمر ربه لعن وكتب قلم الشقاوة الأبدية عليه وصار من المغضوب عليهم، أخذ يغضب مولاه ويعانده ويتوعد عباده بالغواية ويتهدد ويقسم لربه إن هذا الذي كرمت عليّ، لأغوينه وذريته، ولم أزل به حتى تطرده كما طردتني، قالت له العناية بلسان الحال إن آدم محبوب عند الله في الأزل، لم تضره المخالفة وإن صدرت منه لأن الله خلقه من أجله ليظهر فيه بمظاهر ألوهيته، وسبق في علمه أنه خليفته في خلقه ومصطفى ومجتبى عنده، فأبرزه في ظاهر حكمته على وفق ما أبطن في مشيئته، ولو وقع مخالفته رغماً على أنفك يا ملعون، وزيادة في طردك وبعدك اذهب فإنك رجيم، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين لأنك مخلوق لنفسك، وتعبك كان لحظك وشهواتك وما رأيته في بدايتك هي ملابس مستعارة لك، والأصل هو شقاوتك وطردك، ولذلك خلقتك وأما آدم عليه السلام فمخلوق للسعادة الأبدية، والنعم السرمدية، والخلافة العظمى على جميع البرية، فشتان ما بين من كان سعيداً في المشيئة الأزلية وبين من كان شقياً فيها، ولذا يقال في المثل من سبقت له العناية لم تضره الجناية، ومن الجاري على ألسنة العامة، المحبوب ما له عيوب، فآدم لبس تاج الخلافة بسبب المخالفة، وإبليس لبس خلعة الشقاوة بسبب العبادة، مع الطرد واللعن والخذلان والحرمان والخزي والنكال، وأعدت له دار الهوان والعذاب والغضب مقراً للخلود فيها بزلة واحدة، وهي إبايته عن السجود فسبحان المتصرف في العباد بما أراد، فمن ذلك الوقت صار إبليس مظهراً للغواية والضلال والشقاء والبعد والخسران والعناد والغضب والفساد والزيغ والبهتان وأنواع العصيان والكفر والباطل، ومخالفة أمر ربه في كل ما ينهى عنه أو يأمر به، كما كان سيد الوجود ﷺ، مظهراً للهداية والتوفيق والسعادة والقرب إلى الله، والربح والانقياد والرضا والصلاح والرشد والصدق وأنواع الطاعات والإيمان والحق والامتثال لأمر الله، وجميع وجوه التقربات وجماع الخيرات، فهما في عالم الحكمة عينان متقابلتان في غاية المضادة والتنافر، وأما بالنظر للمشيئة فليس لهما شيء من ذواتهما ولهذا قال ﷺ: «بُعِثْتُ دَاعِياً وَلَيْسَ لِيَ مِنَ الْهِدَايَةِ شَيْءٌ، وَبُعِثَ إِبْلِيسُ دَاعِياً وَلَيْسَ لَهُ

مِنَ الغِوَايَةِ شَيءٌ» وما ذكرناه من المظهرين فهو في الحكمة الظاهرة، وأما في المشيئة فإبليس فرع عن الحقيقة المحمدية، لأنها هي الأصل في كل مظهر وفي كل ما يفاض على الوجود بأسره فرداً فرداً. انتهى من إملائه على محبنا وسيدنا أبي عبد الله محمد بن المشرى وكتبته من إملائه علينا حفظ الله علاه. **وسمعته** يقول رضي الله عنه: إن نبوة سيدنا آدم عليه السلام تؤخذ من مضمن الآيات لا من ظاهرها، قلت له: والأحاديث الصحيحة هل فيها ما يدل على نبوته أم لا؟ قال: إلا ما روي عن نبينا ﷺ قال: إن سيدنا آدم نزلت عليه صحيفة الحروف وفيها تسعة وعشرون حرفاً، قال له بعض الصحابة: إنها ثمانية وعشرون قال ﷺ: بل تسعة وعشرون قال الصحابي: بلام الألف قال له: نعم يعني أن لام الألف مركب من حرفين، ثم قال الشيخ رضي الله عنه: إن نبوة سيدنا آدم تؤخذ من لفظ الخلافة، لأن من استخلفه الحق لا بد أن يكون فيه معنى ما من مستخلفه، وهو هنا احتواؤه على جميع الأسماء الكونية والإلهية، التي بها نظم الكون وقوامه كما قال سبحانه وتعالى، وعلم آدم الأسماء كلها وعلمه بهذه الأسماء فرع عن الصديقية، ولكن الفرع هنا أعلى من المتفرع عنه، والصديقية لا تكون إلا عن أحكام التكاليف، والأحكام التكليفية لا تكون ناشئة إلا عن أخبار نبوية، والأخبار النبوية لا تكون إلا من الله لبعض أنبيائه، أو من نبي لبعض أتباعه، وسيدنا آدم ثبت له جميع ما ذكر من الخلافة والصديقية، وليس قبله نبي فثبت أنه نبي عليه الصلاة والسلام، وتركيب هذا الشكل معلوم لمن يعقله وكذلك آية قوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ [البقرة: ٣٨] بعد قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا﴾ [البقرة: ٣٦] فإن الهداية لا تكون من الله تعالى، إلا لمن أراد أن يكون هادياً مهدياً، وهذا لا يكون إلا نبياً أو وارث نبي، وسيدنا آدم لم يرث نبياً فثبت أنه هو نبي فرضي الله عن سيدنا وشيخنا ما أغوصه على المعاني الغامضة، التي لم يسبق بها. انتهى من إملائه على محبنا سيدي محمد بن المشرى وبإملائه علينا كتبته.

وسألته رضي الله عنه عما حكى الله عن الخليل عليه السلام في قوله تعالى فقال: إني سقيم وقوله تعالى: ﴿فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] وفي الخبر: «**هي أختي**» في زوجته؟ **فأجاب رضي الله عنه** فكل هذه القولات الثلاثة مباحة للخليل عليه الصلاة والسلام، فإنه مشرع وخليفة، فعل ذلك بإذن إلهي فلا توزن أفعاله ولا تقاس على غيره، لأنه ما أراد بها إلا الحق فكل ما يصدر منه فهو موافق لشريعته، فهذا غاية ما يذكر في حقه عليه الصلاة والسلام، يشهد لهذا قوله ﷺ: حين نهى الناس عن الوصال قالوا نراك تواصل؟ قال: «**إِنِّي لَسْت كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي**» وفي المثل السائر لا يصح للضب أن يقيس النون على نفسه، فإذا فهم هذا فكيف يمكن لأحد أن يتكلم بالمناقشة على من من الله عليهم برسالته، وأمنهم على سر وحيه، وجعلهم قدوة لخلقه، وأيضاً فإن شرائع من قبلنا لم تعلموا كيف كان الحكم فيها عند أهلها حتى تتكلموا فيها بنفي أو إثبات، فإن شريعتنا التي بأيدينا، لم تحيطوا بأحكامها إلا أفراد من الكمل، وهم أقطاب هذه الأمة، فما بالك بالشرائع التي لم نعلمها وما وصلت إلينا، ولم ندر ما حكم الله فيها لأهلها، فمن أراد أن يتوصل إلى معرفة أحكامها من غير خبر صحيح في شريعتنا، فهو فضولي مدخل نفسه فيما لا يعينه، ولا ترتكب هذا إلا من إسلامه غير حسن، لخبر: «**من حسن إسلام المرء، تركه ما لا يعينه**» ومن العجب أن الأعمى يريد أن ينقذ البصير ويدله على الطريق، ومن هنا تفهم أن ما فعله سيدنا سليمان عليه السلام من ضرب السوق والأعناق للخيل حين شغلته حتى توارت الشمس، كما حكى الله عنه جائز في شرعه، وكذلك جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ثم قال الشيخ رضي الله عنه: واعلم أن أحوال الرسل عليهم الصلاة والسلام لا تتبع بالمناقشة والتفتيش، بل يجب الاقتداء بهم في كل ما أتوا به، فإن الله ذكر هداهم حين ذكرهم، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٠] فبهداهم اقتده فلا يحل لامرئ مسلم أن يناقش في أحوال الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ [النساء: ٦٤] بإذن الله وقال جلّ وعلا: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وهذا عام في كل رسول ومن أراد أن يقيس أفعال النبوة على غيرها فهو جاهل بحقها، ومقصر في آداب رتبتها، ولم يعلم أن الإذن لهم في كل ما يصدر منهم على العموم، وإن وقع العتاب لهم على بعض الأمور فإنما للوجه الذي ذكره الشيخ في تقسيم وجوه المباح لا غير، ولهذا الاقتداء والتصديق من المؤمنين للرسل، تشهد أمة محمد ﷺ يوم القيامة على الأمم التي كذبت رسلها وأنكروا بلوغ الرسالة، فإذا قالت أمة لم يبلغ لنا ما أرسلته يا ربنا يقول المولى جلّ جلاله وهو أعلم بهم: من يشهد لك أنك بلغتهم فيقول الرسول أمة محمد فيقول لهم المولى تبارك وتعالى: هل عندكم من شهادة لرسولي هذا فتقول أمة

محمد: أو أرسلته يا ربنا فيقول الرب سبحانه وتعالى: قد أرسلته إليهم فتقول أمة محمد: فنشهد له على أنه بلغهم ما أرسلته به إليهم، وشهدوا له لأنهم يعلمون أن لا يؤمن على سر وحيه إلا من كان صديقاً أميناً، وصاحب هذا الوصف يستحيل في حقه عدم التبليغ وإذا فهمت هذا، علمت أن الذنوب التي ذكرت في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، والأفعال التي صدرت منهم في صورة المخالفة إنما فعلوها للوجه الذي ذكره الشيخ رضي الله عنه فيما قدمنا في صدر الباب، أو هي مباحة لهم في شرعهم كما قدمنا في قولات سيدنا إبراهيم عليه السلام، وفعل سيدنا سليمان عليه السلام، وأما سيدنا آدم عليه السلام فقد ذكر الله عذره كما قدمنا، وأما قوله تعالى فيما حكاه الله عن سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَا بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٢٤] الآية قال شيخنا رضي الله عنه: هم بها يحتمل هم بالمعصية ويحتمل هم بالبطش بها أي بالمرأة غضباً لما طلبته بفعل الفاحشة، فأما إن قلنا هم بالمعصية فإن العصمة مانعة منه، فلم يبق إلا كونه هم بالبطش بها غضباً لولا أن رأى برهان ربه، ولما رأى البرهان تركها إذ علم من البرهان إنه معصوم، وأما قوله: برهان ربه تفسير البرهان قيل إنه رأى صورة يعقوب عليه الصلاة والسلام، عاضاً على أصبعه ويقول له: يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الأنبياء، فزاده الله قوة على التخلص منها، وقيل: إنه رأى قائلاً يقول له: مثلك إن لم تواقعها كمثل الطير في الهواء، لا يصل إليه شيء، ومثلك إن واقعتها كمثل الطير إذا سقط ميتاً في الأرض لا يدفع عن نفسه شيئاً، وقال: إن البرهان رآها حين أرادت التحرك إليه بعد ما أظهرت صورة الفاحشة، كان لها صنم تعبده فقامت وغطته بغطاء كثيف، فقال لها ما شأنك فعلت به هذا؟ فقالت: أكره أن يراني على المعصية، فقال لها عليه السلام: أنا أحق أن يراني الله تعالى على معصيته، فنفر عنها اهـ.

وأما قوله: وما أبرئ نفسي، فإنه أخبر عن حال بشريته، بتحركها لطلب الفعل لما أن دعته المرأة، والقلب أدبر عن إجابة البشرية إلى ما طلبت، توفية بأمر الله فإن القلب هو المخاطب بالتكليف، لا البشرية فإن القلب إذا توقف ووقف في الحدود المأمور بها، لم يضره تحرك البشرية لخلاف ذلك لأن القلب قد سلم وهو المراد بالتكليف، يشهد له قوله ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا هِيَ القَلْبُ**» وبعبارة فالبشرية الأنبياء موجودة لطلب الانغماس في الشهوات، هم فيها كسائر البشر سواء كانت الشهوة محرمة أو حلال، والقلب هو القائم على البشرية يفصل أحوال الشهوات، ويصرف البشرية في الشهوات الحلال، ويقمعها عن الوقوع في الشهوات المحرمة، وهذا هو عين العصمة يتصف بها الأنبياء، لا زوال البشرية كما يظنه بعض الجهال، فإن البشرية لو كانت مفقودة فيهم لم تكن لهم عصمة لعدم وجود سببها، وهو ظهور البشرية لطلب الوصول إلى الشهوات المحرمة، فامتناع القلب من موافقة البشرية عن الوصول إلى الشهوات المحرمة، مع وجود داعية البشرية إليها هو الأمر المسمى في عرف الشرع بالعصمة، يشهد لهذا قوله ﷺ: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً وَلَا خَلِيفَةً إِلَّا وَلَهُ بِطَانَتَانِ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ المُنْكَرِ وَبِطَانَةٌ لَا تَأْلُوهُ خَبَالاً، وَمَنْ يُتَّقِ بِطَانَةَ السُّوءِ فَقَدْ**» وفي قول الحديث الكريم على وجود البشرية الداعية للشهوات في الأنبياء، إلا أن القلب يستعصم من تصريف البشرية في الشهوات المحرمة، وهذه هي العصمة، فظهر من هذا الخبر أن الخواطر حتى في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولكن سلطان الروح قاهر لميل النفس وهواها، فلا تقدر تتحرك لشيء إلا إذا حركها، وسلطان الروح لا يميل للقبيح، فلذا كانوا منزهين عن الأفعال القبيحة، لأن الله أيدهم بروح منه ومن أيده الله لا تتأتى منه مخالفة للحق ولو فيه حتف أنفه. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

وسألته رضي الله عنه عن إخوة سيدنا يوسف عليهم الصلاة والسلام هل هم أنبياء؟ **الجواب** أنهم أنبياء بدليل قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣] إلى قوله: ﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾ [النساء: ١٦٣] وهم أولاد سيدنا يعقوب عليهم الصلاة والسلام، وأما ما فعلوه مع سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام فيحتمل أنه كان ذلك جائزاً في شرع أبيهم، أو فعلوه قبل نبوتهم، لأن العصمة ليس بمجمع عليها قبل النبوة، وهذا غاية ما يذكر في حقهم عليهم الصلاة والسلام. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه وأرضاه. **وسألته رضي الله عنه** عن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] **فأجاب** رضي الله عنه بما نصه قال: فمن وقع في ذنب وجاء إليه ﷺ مستغفراً وتائباً وجد الله غفوراً رحيماً، والإتيان له ﷺ بعد موته كحياته، وقبول التوبة والعمل من كل مؤمن مقطوع بها إن صدر كل منها على القانون الشرعي ظاهراً أو

باطناً، وسلمت من عوارض الإبطال منها ما يكون في ذات الفعل نفسه ومنها ما يكون خارجاً عن الفعل، فالتي هي من ذات الفعل هي الرياء والتصنع لجلب عرض من الخلق، جلياً أو دفعاً والعجب هو عدم شهود المنة، وهذا الأخير هو لخاصة الخاصة فقط، وعوارض الأبطال الخارجة عن الفعل، كترك صلاة العصر حتى غربت الشمس من غير عذر كالنسيان والنوم، وكقذفه للمؤمن المحصن ورميه له بالزنا، وكأكله أجرة الأجير بعد وفاء عمله، وكتعمده لأكل الحرام ولم يتب منه وكالردة والعياذ بالله وكذلك سب الصحابة رضوان الله عليهم، لما ذكر في الحديث أنه لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً، فكل ما كان من المحبطات في ذات الفعل تحبط العمل الذي وقعت فيه لا تتعدى لغيره، والمحبطات الخارجة عن الفعل هي التي تحبط كل عمل تقدمها والسلام. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه وأرضاه.

وسألته رضي الله عنه: عن معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠] **فأجاب** رضي الله عنه بقوله: معنى الآية إن من اقترف ذنباً كبيراً أو صغيراً ثم رجع إلى الله تعالى خائفاً من عقوبة ذنبه، فتضرع إلى الله تعالى وسأله المغفرة لذنبه الذي اقترفه، وجد الله غفوراً رحيماً بحسب وعده الجميل، ولم يخرج استغفاره خائباً من المغفرة يشاهد قوله ﷺ: «**لَو لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ الله بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ الله فَيَغْفِر لَهُمْ**» يريد إظهار فضله سبحانه وتعالى على خلقه، والآية رجاء عظيم ووعد جزيل في أن من استغفر الله من ذنوبه وتضرع إليه صادقاً غفر الله له أي ذنب كان، وهذا المشهد فيه رجاء عظيم والناس غافلون عنه وفي هذه الآية طلب الاستغفار لا غير من غير توبة، فإذا صدق الله بالتضرع إليه في طلب المغفرة وجد الله غفوراً رحيماً، أن العبد إذا نظر في صحيفته يوم القيامة وجد ما فيه من الذنوب أنه سأل المغفرة من الله غفر، ولم يوضع في الميزان وما لم يستغفر الله فيه وضع في الميزان انتهى. **وسألته** أيضاً عن معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥] الآية؟ **فأجاب** بقوله: معناها أن الله مدح الذين أعدت لهم الجنة، من جملتهم الذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، **قلنا**: الذكر هنا على مراتب، مقام العامة ذكر العذاب وشدة العقاب، فيتألم باطنه من ذكره فيستغفر الله من ذنوبه، ومقام الخاصة فوقهم ذكر التوبيخ والعتاب للعذاب، فإنهم يفرون من توبيخه وعتابه كما نفر العامة من عذابه وأليم عقابه، وإذا ذكروا هذه الحالة استغفروا من ذنوبهم، وذكر خاصة الخاصة الحياء من علم الله بها والحياء من نقص الأدب مع الله تعالى فيذكر هذه الحالة فيستغفر من ذنوبه، قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه: لأن أطيع الله وأدخل النار أحب إليَّ من أن أعصيه وأدخل الجنة، استحيوا من الله من سوء الأدب ومن وقوع السيئات منهم لعلمهم أنها تسوء الحق سبحانه وتعالى، وفي الحديث يقول ﷺ: «**اسْتَحْيُوا مِنَ الله حَقَّ الحَيَاءِ قَالُوا إِنَا نَسْتَحِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ قَالَ: لَيسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَلَكِنَّ الحَيَاءَ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْس وَمَا وَعَى وَتَحْفَظ البَطْنَ وَمَا حَوَى وَلْتَذْكُر المَوتَ وَالبَلَى فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحَى مِنَ الله حَقَّ الحَيَاء**» انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه. **وسألته رضي الله عنه** عن قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧] ما معنى هذه التوبة في حقه ﷺ؟ **فأجاب** رضي الله تعالى عنه قال هي الحماية من مواقعة الذنوب قلت: أما في النبي ﷺ فنعم لأنه معصوم، وأما من ذكر معه في الآية: فما الحماية في حقهم فهل هي عدم وقوع الذنب في حقهم كما في حقه ﷺ فقال رضي الله عنه: معناها دوام التوبة لهم وعدم الإصرار على الذنوب، ومن كان هذا حاله كان مثل من لم يصدر منه ذنب أصلاً لقوله ﷺ: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ**» وقوله: «**مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وَلَو عَادَ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّة**» ولفائدة أخرى وهي رجوع العبد إلى ربه والرب سبحانه وتعالى يحب من عباده الراجعين إليه الذين لا ملجأ لهم غيره في جميع أمورهم، ومن كانت هذه حالته مهما أذنب تاب من حينه إلى ربه كان محبوباً عند ربه. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه **وسألته رضي الله عنه** عن معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] **فأجاب** رضي الله عنه بقوله: معناها اتقوا الله وخافوه من شدة عقابه، وابتغوا إليه الوسيلة وهي الأعمال الصالحات التي فيها رضاه سبحانه وتعالى، ويؤخذ من هذه الآية على طريق الإشارة وابتغوا إليه الوسيلة التي تنقطعون بها عن غيره لتتصلوا به، ولا وسيلة أعظم من النبي ﷺ، ولا وسيلة إلى النبي ﷺ أعظم من الصلاة عليه ﷺ، ومن جملة ما يبتغي من الوسيلة إلى الله تعالى، الشيخ الكامل فإنه أعظم الوسائل إلى الله تعالى والسلام. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه. **وسألته رضي الله عنه** عن قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]

الآية؟ **فأجاب** رضي الله عنه: النبي ﷺ له الاستيلاء على جميع المراتب، والانفراد بالحكم فيها بكل وجه وبكل اعتبار، والمراتب هي أفراد المخلوقات من كل جوهر، وكل ذات، وكل ذرة، وكل جرم، وكل ذات على انفرادها هي مرتبة للحق، وكلها مراتب إلهية، فهذا القدر كان أولى بكل أحد من نفسه. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] الآية؟ **فأجاب** رضي الله عنه بقوله: نفى الله العلم بالغيب عن الخلق من أحد ثلاث: إما بحاسة من الحواس، وإما بطريق السمع وتبليغ الخبر، وإما بطريق الفكر، وهو النظر في أمور معلومة يتوصل بالنظر فيها إلى العلم بأمور مجهولة، فهذه الطرق هي المنفية عن الخلق وبقي الطريق الرابع وهي ما يقذفه الله في قلب العبد بغير حاسة ولا واسطة ولا فكر، ويسمى هذا بالعلم اللدني فإن هذا العلم غير منفي عن الرسول، ولا عن غيره من النبيين والمرسلين، يشهد بهذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] الآية قال المرسي أو صديق أو ولي يشهد لهذا قوله ﷺ: «**إِنَّ مِنَ العِلْمِ كَهَيئَةِ المَخْزُون لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا العُلَمَاء بِالله فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لَا يُنْكِرُهُ عَلَيهِمْ إِلَّا أَهْلُ الغِرَّةِ بِالله**» وبعبارة أخرى قال المراد بالعلم الذي نفاه الله عن خلقه في الخمسة وغيرها من المغيبات، هو العلم المكتسب الذي يتوصل إليه الخلق بأحد أمور ثلاثة كما تقدم: إما من أخبار سمعية، أو بأدلة فكرية، أو بمعاينة حسية، فهذه الطرق هي التي حجر الله عن صاحبها أن يعلم الغيب، وأما من وهبه الله العلم اللدني فإنه يعلم بعض كهذه المذكورات أو غيرها كما في قصة الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام، لأنه فعل ما حكاه الله عنه، علم ولم يعلمه كليم الله قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] هذا دليل على أن من علمه الله العلم اللدني أنه يعلم بعض الغيوب التي أخفاها الله على كثير من خلقه. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه **وسألته رضي الله عنه** عن قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ﴾ إلى قوله: ﴿يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] **فأجاب** رضي الله عنه الكلام في هذه الآية من طريق التأويل، فإن التأويل كله يسعد القرآن، وتأويلها أن كل رسول يتمنى إسلام المرسلون إليهم، وهدايتهم حرصاً على أمر الله وشفقة عليهم، فإذا تمنى هذا ألقى الشيطان في قلوب المرسلين إليهم نقيض ما تمناه، ضلالاً وكفراً، فينتقص الرسول بذلك ثم ينسخ الله ما يلقي الشيطان في قلوب المرسلين إليهم من المعاصي والكفر والتكذيب، ثم يحكم الله آياته ومعناه ما تدل عليه الآية المنزلة من الإيمان بالرسول والفيء إلى أمر الله والوقوف، عند حدوده وهي الآيات المحكمات والسلام.

وأما حديث الغرانيق فباطل لا أصل له من وجهين، كلاهما يقطع ببطلانه الأول قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠، ٢١١] فهذا شاهد في الآية بعصمة الوحي من تطرق الشياطين والثاني قوله سبحانه وتعالى في الآية التي زعموا فيها الغرانيق: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ٢٣] فإنه لو كان معها، حديث الغرانيق لضحكت منه جميع العرب وسخروا بالنبي ﷺ وبوحيه وبيان ذلك أنهم يقولون: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] إلى آخر الآية، يقولون فيها سمع المشركون تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى ثم يقول بعد ذلك ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ٢٣]، فإن الكلام المقدس الجليل، ينزه عن مثل هذا القدر الفاحش إذ ما يوجد فيه أول الآية يدل على مدح الشيء، وآخرها يدل على ذمه والسلام. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه **وسألته رضي الله عنه** عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤] **فأجاب** رضي الله عنه بقوله: هي في الآخرة قلت له سياق الآية يدل على أنها في الدنيا قال: المعاينة تدل على أنها في الآخرة، لأنا نشاهد كثيراً من الكفرة في سعة الدنيا، ولو كان الضنك في الدنيا لم يكونوا كذلك، فدلت سعة الدنيا التي نشاهدها بأيديهم على أن معيشة الضنك في الآخرة، عمن أعرض عن ذكر الله ويدل عليها قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥] ولو كان الضنك مآلهم ما فرحوا وكذلك من الدليل عليها قوله سبحانه وتعالى فيهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ [الواقعة: ٤٥] والمترف هو الناعم البدن والنعيم في البدن مستحيل مع ضنك المعيشة، لما يصحبه من الحزن فلا يتأتى نعيم بدنه انتهى من إملائه رضي الله عنه **وسألته رضي الله عنه** عن معنى قوله تعالى: في حق النبي ﷺ: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢] في الآية الأخرى: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩] إلى غير ذلك من الآيات التي تحت هذا النحو مع حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: من قال إن النبي ﷺ يعلم ما في غد فقد كفر، أو ما هذا معناه مع أن علم الأولين والآخرين محمول

في ذاته الشريفة، وهو الموصل إلى كافة الخلق كل على قدره؟ **الجواب**: اعلم أن النبي ﷺ كان يعلم علوم الأولين والآخرين إطلاقاً وشمولاً، ومن جملة ذلك العلم بالكتب الإلهية فضلاً عن القرآن وحده ويعلم مطالبة الإيمان بدايته ونهايته وماهية الإيمان وما يفسده وما يقويه، كل ذلك هو ثابت في حقيقته المحمدية ﷺ، وأما قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ فإذاً هذا الحال كان له قبل النبوة لم يعلمه الله بحقيقة الإيمان ولا بكيفية تنزيل الكتب ولا بماهية الرسالة وتفصيل مطالبها، كل ذلك حجبه الله عنه قبل النبوة وهو مكنوز في حقيقته المحمدية ولا يعلمه ولا يشعر به، حتى إذا كان زمن النبوة رفع الله عنه الحجب وأراه ما في حقيقته المحمدية، يشهد لذلك قوله ﷺ: «رَأَيتُ رَبِّي فِي صُورَةِ شَابٍ» إلى أن قال: «وَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَعَلَّمَنِي عُلُومَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ» وهذا كان في زمن النبوة رفع الله عنه الحجاب وأراه ما أدرجه الله له في حقيقته المحمدية من كنوز المعارف والعلوم والأسرار، التي لا يحاط بساحلها ولا ينتهي إلى غايتها وإياك أن تفهم من هذا أن حقيقته المحمدية كانت عرية عن هذا قبل النبوة، فلا يصح هذا الظن بل حقيقته المحمدية لم تزل مشحونة من جميع هذه المعارف والعلوم والأسرار من أول الكون من حيث أنه أول موجود أوجده الله تعالى قبل وجود كل شيء، وفطره على هذه العلوم والمعارف والأسرار ولم يزل مشحوناً بها إلى أن كان زمن وجود جسده الكريم ﷺ، فضرب الحجاب بينها وبين علمه بها ﷺ إلى أن كان زمن النبوة، فرفع الحجاب وأطلعه على ما أودعه في حقيقته المحمدية مما ذكر أولاً وما خاطبه به في قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان أخبر عن حالة احتجاب ما كان في حقيقته أولاً عن علمه ﷺ بها فقط إلا أنها لم يكن العلم بها في حقيقته وقد كان ﷺ قبل النبوة من حين خروجه من بطن أمه لم يزل من أكابر العارفين ولم يطرأ عليه حجاب البشرية الحائل بينه وبين مطالعة الحضرة الإلهية القدسية، وكان من أفراد العالم ونسبة الفرد إلى علوم العارفين والصديقين، كنسبة العارف بالله إلى العامة لا يعرفون شيئاً، وكان في تلك المرتبة ﷺ، متحققاً بمرتبة أن يأخذ العلم من الله بلا واسطة ولا يجهل شيئاً من أحوال الحضرة الإلهية، ولم يطرأ على شمسه في هذا المحل أقول ﷺ، والعلم بالله تعالى الذي هو عند الأفراد العارفين ثابت له في هذه المرتبة وإنما حجب الله عنه في هذا الميدان ماهية الرسالة ومطالبها وما تؤول إليه وما يراد منها، وكذا حجب الله عنه العلم بكيفية نزول الكتب وما يؤول إليه وما يراد منه وما الأمر التي تطلبه في نزول الكتب حتى إذا بلغ مرتبة النبوة رفع الحجاب بين علمه وبين ما كان مودعاً في حقيقته المحمدية من العلوم والمعارف والأسرار، ويدل على هذا الذي ذكرناه قوله ﷺ: «كُنتُ نَبِيّاً وَآدَمُ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّينِ» وحيث كان في ذلك الوقت نبياً يستحيل أن يجهل الرسالة والنبوة والكتاب ومطالبات الجميع وما يؤول إليه كل منها وما يراد من جميعها، فالحديث شاهد ما ذكرناه ويدل على ذلك أيضاً أنه ﷺ قبل وجود جسده الكريم، ما بعث الله نبياً ولا رسولاً في الأرض إلا كان هو ﷺ ممد ذلك الرسول أو النبي من الغيب، من حيث أنه لا يتأتى نبي ولا رسول أن ينال من الله تعالى قليلاً ولا كثيراً من العلوم والمعارف والأسرار والفيوض والتجليات والمواهب والمنح والأنوار والأحوال، إلا بواسطة الاستمداد منه ﷺ، وهو الممد لجميعها في عالم الغيب فكيف يمدهم بما هم علماء به وهو جاهل به ﷺ، ولم يزل يركض في هذا الميدان ركضاً لا تماثله فيه الأرواح وإنما حجب الله عنه هذه الأمور أعني عن علمه ﷺ بعد وجود جسده الشريف وقبل نبوته، وهي مكنوزة في حقيقته المحمدية لسر علمه الله فالاحتجاب لا يطلب عليه غيره وسره وسر ذلك سدل الحجاب عليه ﷺ، إذ لو كشف الله له قبل النبوة ما أدرجه في حقيقته المحمدية وتكلم به قبل زمن الرسالة والبعث لوقع الريب في نفس المدعوين فيما تحدى لهم به من الرسالة، يقولون له إنما كنت تتكلم بهذا الأمر من أول أمرك نقلته عن غيرك لست نبياً فستره الله عنه كي لا ينطلق، فلما كان زمن النبوة رفع الله الحجاب عنه وما أرى الله الناس فيه ﷺ قبل نبوته من كونه أمياً لا يعلم شيئاً ولا يدري شيئاً ولا وقعت له مخالطة أحد من أهل الكتب أو القرب منه، ليكون إذا كلمهم بما كلمهم به من أحوال الرسالة والنبوة يعلمون أن ذلك حق لكونه صدر من أمي لا يعلم شيئاً، ولم يكن ذلك ولا نبوة فهذا سر الاحتجاب وشاهد هذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] وأما قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ﴾ [الأحقاف: ٩] الآية الجواب: أنه ﷺ عنده العلم القطعي بأنه عروس المملكة الإلهية، وأنه ليس في جميع الخليقة أكرم منه على الله تعالى ولا أحب عليه

منه، ولا أعز ولا أكبر حظوة عند الله منه، وأنه مأمون العاقبة في الآخرة لا يلحقه لا ألم ولا عذاب، وأنه في الدرجة العالية من النعيم الدائم المقيم، ورضا الله الأبدي السرمدي كل هذا لا يداخله فيه ريب ولا شك، وما ذكر ﷺ من قوله: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ﴾ [الأحقاف: ٩] يحتمل أنه أراد تفصيل ما يقع به من نعيم وتفصيل العطايا والمنح الواردة عليه من الله تعالى، فإنه إن علمه بجملتها يمكن أن لا يحيط بتفصيلها على دوام الأبد في الجنة، فإن في علم الله ما لا تسعه العقول وإن قلنا: إنه ﷺ محيط علماً بجميع هذا فيقع له في باله أن يكون عند الله ما لا يعلمه من العطايا والمنح التي يصبها عليه في دار النعيم، ولا يعلمها إلا عند وجودها فهذا غير مستبعد ويحتمل أن يكون أراد بقوله ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ﴾ فإنه رد الأمر إلى إحاطة العلم الأزلي، فإن علم الله في هذا الميدان لا يحيط به محيط لا نبينا ﷺ ولا غيره يشهد لذلك قوله ﷺ: «وَلَا عِلْمَ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي الله» وقوله حاكياً عن نفسه بما ذكر الله عنه الآية: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠] فيحتمل أنه رد الأمر إلى حقيقة العلم الأزلي لأنه لا يحاط به وإن كان عالماً بما ذكر أولاً، وأما أن يتوهم من هذا الخبر أنه لا يعلم هل يرحمه الله تعالى أو يعذبه أو يقربه أو يطرده في الدار الآخرة، فهذا لا تقبله الحقيقة يدل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥] وقوله: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] ومحال أن يكون هذا الأمر منه سبحانه وتعالى وهو يتخوف عليه العذاب، فإن وعده لا يخلف أما الخبر الوارد عن عائشة إن صح، وهو قولها: من ظن أن النبي ﷺ يعلم ما في غد فقد كفر، أو ما هذا معناه فلا يتأتى هذا إن سمعته من النبي ﷺ إلا أن يكون كتم الأمر عنها لسر ظهر له في ذلك الوقت لا يمكن كشفه لها كما كتم عنها رؤيته للذات العلية بعيني رأسه، وهو واقع له ﷺ بالإجماع فيكون كتمه له عنها لسر ظهر له في ذلك الوقت، والأخبار والآثار وكتب الحديث كلها مشحونة بإخباراته بالغيوب التي تأتي من بعده المتقاربة والمتباعدة، حتى قال بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم ما ترك ﷺ أميراً يكون في أمته من بعده إلا ذكره إلى قيام الساعة. وقوله ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا حَتَّى الجَنَّةَ وَالنَّارَ» الحديث والأخبار كثيرة متواترة حتى لا يكاد أن يرتاب فيها أحد من المسلمين والسلام.

ويبقى اعتراض على ما ذكرنا، وهو أن يقال إذا صح ما ذكرتم، وكان هذا السر هو المانع من ظهور ما في حقيقته المحمدية قبل النبوة، فلم لا يكون رسولاً ولا نبياً من أول نشأته حتى لا يحتجب عنه ما في حقيقته المحمدية كما كان حال الغيب قبل وجود جسده الكريم؟ فالجواب عن هذا الاعتراض: إن منع الله له من الرسالة والنبوة قبل بلوغه أربعين سنة أن النبوة والرسالة لا تكون إلا عن تجل إلهي لو وضع أقل قليل منه على جميع ما في كورة العالم كله لذابت كلها لثقل أعبائه وسطوة سلطانه، فلا تقدر الأنبياء على تحمل أعبائه والثبوت لسطوة سلطانه إلا بعد بلوغهم أربعين سنة، وأما قبل بلوغ الأربعين سنة فلا قدرة لأحد على تحمل أعباء ذلك التجلي لما فطرت عليه البشرية من شدة الضعف، حتى إذا بلغ الإنسان أربعين سنة وكان في علم الله تعالى نبياً أو رسولاً، أفاض على روحه من قوته الإلهية ما يقدر به على تحمل أعباء ذلك التجلي فلهذا السر لم يتنبأ أحد إلا بعد أربعين سنة، وهذا هو المانع له من النبوة قبل ذلك ﷺ ولغيره من النبيين، وأما سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام كونه نبياً قبل الأربعين فالجواب: لم يكن بشرياً محضاً إنما كان نصفين نصف بشري ونصف روحاني إذ نشأ من نفخة الروح الأمين في فرج أمه، فقوى ضعف البشرية وزاد بذلك قوة على النبيين، فلذلك بعث قبل الأربعين للقوة التي أعطيها من نفخ الروح الأمين في فرج أمه **فإن قلت**: يلزم من هذا أن يكون أقوى منه ﷺ؟ **فالجواب** أنه لم يكن أقوى منه ﷺ، ولكن لما كان ﷺ كامل البشرية من جهة أبيه وأمه كان فيه ضعف البشر، وأعطى فيه القوة الإلهية المودعة فيه التي تزيد على قوة عيسى وغيره والسلام. **فإن قيل** لا يصح ما ذكرتم ولا يتصور أن تكون العلوم والمعارف والأسرار مودعة في حقيقته المحمدية وهي محتجبة عند من لا يعلمها؟ **فالجواب** إن هذا الذي قدمناه واقع في الإدراك والحس لا يحتاج إلى القصور وشاهد ذلك أن الروح الإنساني المدبر للجسم كان قبل التركيب في الجسم مخلوقاً من صفاء صفوة النور الإلهي، وأودع فيه سبحانه وتعالى من أسراره وعلومه ومعارفه ما لا تدرك له غاية ولا يوقف له على حد ولا نهاية، وكانت الروح في ذلك الوقت تامة المعرفة بالله تعالى، كاملة الصفاء والتمكين من مطالعة الحضرة الإلهية، تامة العلم بما تشتمل عليه الحضرة الإلهية من العلوم والمعارف، غير جاهلة بشيء منها، وليس الأرواح في هذا الميدان على منهاج واحد ولا نهايتها في ذلك إلى غاية واحدة، بل علوم الحضرة الإلهية ومعارفها مقسومة على الأرواح، بحسب

ما فصلته المشيئة الإلهية فالقبض للأرواح من تلك الحضرة جار على ما سبق من القسمة في المشيئة الإلهية فمقلل ومكثرة ثم لما تركبت في قارورة الجسم وتلطخت بأدرانه وانعكست نسبتها التي هي غاية الصفاء والضوء إلى نسبة الجسم الذي هو في غاية الظلام والكثافة، احتجبت عنها تلك العلوم والمعارف، التي كانت فيها قبل تركيبها في الجسم، واستمد لها هذا الحجاب من نشأة الجسم دائماً، فإذا أراد الله بالعبد الوصول إلى الصفاء والمعرفة، ثم وصلها، رفع الحجاب بينه وبين ما كان مودعاً في حقيقة روحه من العلوم والمعارف، فعرف الأمور على حقائقها ولم تكن تنزلت فيه بعد المعرفة، وإنما كانت مخزونة في حقيقته، ثم رفع له الحجاب عنها فإذا رفع له الحجاب عنها عرف ما كان في حقيقة روحه من العلوم والمعارف، وعرف ما يفاض عليه من الحضرة الإلهية بعد المعرفة، مما لم يكن في روحه قبل، وأدرك الفرق بين الأمرين وهذا يعلمه جميع العارفين، والدليل الثاني على ذلك أيضاً: أن الإنسان هو عين روحه وماهيته لا غير، وإنما هذا الجسد الظاهر لروحه كالثوب الملبوس، فليس الإنسان إلا الروح، ثم هو الآن في حجاب عن درك حقيقة روحه، لا يعلمها ولا يدركها وهي عينه فإذا أراد الله له بلوغ المعرفة وصفاءها، رفع له الحجاب عن حقيقة روحه، فأدرك حقيقتها إدراكاً ذوقياً وكشفاً عينياً، وأدرك ما أودع فيها من العلوم والأسرار فهي الآن محتجبة عنه وهو عينها فهذا أعظم شاهد على ما قلناه في حقه ﷺ ثم قال الشيخ رضي الله عنه للألوهية المشهودة لغير الله تعالى قسمان قسم متعلقه الألوهية محضاً لا تعلق فيه للخلق، وقسم من الألوهية متعلقه الخلق تعرف تلك المعاني الإلهية بالخلق، وتعرف المخلوقات بتلك المعاني الإلهية، ولا بدّ لكل كامل من شهود الأمرين، ومن أعظم الشواهد على ما ذكر فيه ﷺ قبل النبوة من كون علوم النبوة والرسالة والكتب والإيمان، موجودة مغطاة عليه بحجاب كحالة النائم في نومه، فإن علومه التي كان يعلمها في اليقظة مغطاة عليه في وقت النوم، حتى إذا استيقظ وزال عنه حجاب النوم، تعقلها ووجدها لم تزل في ذاته فهذا حاله ﷺ من خلقه إلى زمن النبوة والسلام. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه.

وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١] مع قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] مع قول أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه: وتول قبض أرواحنا بيدك وحل بيننا وبين غيرك؟ **فأجاب** رضي الله عنه قال: اعلم أن الله تعالى هو القابض للأرواح أصلاً وعيناً وولي ذلك عزرائيل عليه السلام، سجافاً وستراً حكمياً غطى به صرف قدرته، فإن سر القدرة الذي هو عين العين، لا يظهره سبحانه وتعالى لأحد ظهوراً عينياً، وإنما يظهره سبحانه وتعالى علماً مغطى بسجاف الحكمة فهو القابض للأرواح باطناً وقدرة صرفاً وهو المولى لعزرائيل، قبضها ظاهراً ستراً حكمياً، وقد رفع هذا الستر في بعض الأشخاص فضلاً منه وجوداً، واختصاصاً لما شاء من حيث لا حجر عليه في عموم الإطلاقات، فيتولى قبض أرواحهم بيده دون تولية عزرائيل عليه السلام، ولا يلزم من هذا أن يكون الذي يتولى سبحانه وتعالى قبض روحه دون تولية عزرائيل عليه السلام، أفضل ممن تولى قبض روحه عزرائيل عليه السلام، فإن هذه مزية والمزية لا تختص بالفاضل دون المفضول في كل شيء، وفي كل مرتبة نشير إليها فيما يأتي، ثم نقول: إن الحق لا حجر عليه كما قدمنا يفعل في ملكه وتصرفه ما يشاء سواء كان في عموم الخبر والإطلاق فيخصص بمناقضة عموم الخبر من يشاء من خلقه، لو كان في خصوص الخبر وهو ظاهر فإن المزايا يختص الله بها الفاضل في كل مرتبة، وقد يختص بها المفضول في بعض المراتب، فقد ثبت عنه ﷺ قال: «**إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ لِمَكَانِهِمْ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**» ونعني به يوم القيامة فقد بان لك أن المزية يختص الله بها المفضول دون الفاضل، وهذه أعظم المزايا حيث كان النبيون، على جلالة قدرهم وشفوف رتبتهم، من حيث أن الظنون لا تطرقها علواً يتمنون عند الله مقام من لا يكون نسبته إليهم حتى نقطة قلم في بحر طوله ألف ألف عام وعرضه كذلك وعمقه كذلك، بالنسبة إلى علو مقامهم وكشف سر هذه الحكاية من حيث أن هذه المزية لم تقع لأكابر النبيين لعلو مقامهم عن التدلي لمثلي هذه، فإن هؤلاء المغبوطين بمنزلة الأطفال، في حجر الحق يلاطفهم بأنواع التحف لعدم طاقتهم لحمل أعباء الإلهية بما يتجلى به في ذلك الوقت كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: ٢] فلما عظم الموقع في هذا التجلي الذي لا طاقة للأرواح به ليلاطف صغار أحبابه بما يغبطهم به الأكابر، وترويحاً لهم من ضغطة الوارد، ورفقاً بضعف مقامهم أن يعظم بكاؤهم وأنينهم، لصعوبة ما يرون من التجلي وأما النبيون عليهم الصلاة والسلام لقوة

مقامهم على تحمل أعباء الحضرة الإلهية، وتلقي كل ما يبرز منها من التجليات بما يعطيه الوقت من كمال الأدب، فهم ثابتون كالجبال الرواسخ، لا تدهشهم التجليات ولا يزعجهم عواصف المعضلات، فلم يحرك لهم الحق هذه الميزة التي استأنس بها صغار الأحباب، علماً من الحق سبحانه وتعالى أن مقامهم الأعلى ومركزهم الأسمى بما اشتمل عليه من علو الأدب، ومعرفتهم بعظمته وجلاله، لا يتنزلون إلى توقيع هذه المزية، فإنما حاصلها من شهوات النفوس التي هي ملاطفة من الحق لضعفاء خلقه، وأما الأكابر الأعلون فلا ترضى منهم ولا يرضى لهم كما وقع في بعض الكتب المنزلة أن الله تعالى يقول فيها: «**ما للأقوياء والشهوات وإنما أبحت الشهوات لضعفة خلقي يستعينون بها على طاعتي**» وشاهد ذلك وهو علو مقام النبيين ما وقع في قضية إبراهيم عليه السلام، حيث زج به في المنجنيق، مقذوفاً إلى النار التي شأنها معروف، فما أن ولي استغاث ثبوتاً لحكم تجليه في تلك الوقت ووفاء بآداب التجلي، فتعرض له الأمين جبريل عليه السلام في الهواء، وقال له ألك حاجة يا إبراهيم فإنه يعلم أن إرسال الأمين إليه ينقذه من وحلته، إنما كان من عناية الله به ورفعة مقامه لديه، وأنه إن مال إليه في تخليصه لم يكن ذلك منه سوء أدب ولا انحطاط لرتبته، لأنه تلقى منة الحق حيث وردت عليه، ولكن لما رآه تنزلاً من علو المقام وتنزيلاً عن كمال الأدب، وهو تلقيه لمنة الحق بالفرج والقبول على حكم قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَصَدَّقَ عَلَيْكُم بِرُخَصِهِ فَاقْبَلُوهَا**» وكالحكم الواقع في حكمه تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٢٥] إلى قوله: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦] فإن هذه علامة النصر وبلوغ الفرج، والسرور ولضعف مقام الصحابة، فإنهم ليسوا بأنبياء فأقول: الآية موقف الضعفاء من الأحباب حيث يلاطفون في حضرة الحق، دفعاً لما لا تطيقه أرواحهم من ثقل الوارد، وآخر الآية هو موقف الأكابر من العارفين فإنهم لا يبالون بغير الله تعالى، ولما كان الميل إلى الرخصة تنزيلاً عن الأكمل في الأدب، وهو وفاؤه بكمال الأدب في الحضرة الإلهية وكمال تحمله لأعبائها حيث لا تطرقه لذة النفس ولا شهواتها، وإن كان في ذلك حتف أنفه لتركه، فلذا أجابه بقوله: أما إليك فلا أي لم يرض التنزل لشهوات نفسه، وإن كانت من منة الحق ولم يرض إلا الوقوف في أعلى مراتب الأدب وهو انقطاعه إلى الله تعالى عن كل وجهة من أحوال النفوس، وإن كان في ذلك حتف أنفه، وأكد ذلك في قوله حيث قال له: سله قال: حسبه من سؤالي علمه بحالي فإذا عرفت هذا عرفت بعد ما بين مقامات النبيين، من مقامات المغبوطين وأن الذي رفع من تمنيهم لمقامات المغبوطين، مما لحقهم من الشفقة على أممهم وأتباعهم وقرابتهم، لا يتحملوا أعباء ذلك المقام ولا يثبتوا له ويكثر أنينهم وبكاؤهم، وقد عرف ما في البشرية من الميل إلى الأقارب والأحباب والشفقة عليهم، فيما يحل بهم من البلايا والنقم، وإن كان مقام صاحب هذه البشرية في أعلى المقامات فلهذا غبطوا من ليسوا بأنبياء، لكونهم لا أتباع لهم يخشون عليهم من شدة الوارد، ومن المزايا التي وعدنا بها في صدر الجواب ما وقع لعمر وعمار بن ياسر رضي الله عنهما دونه ﷺ فإنه قال لعمر: «**مَا سَلَكْتَ فَجّاً إِلَّا سَلَكَ الشَّيْطَانُ غَيْرَهُ**» وقال لعمار: «**إِنَّ اللَّهَ عَصَمَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ لَا يُوَسْوِسُ إِلَيْهِ**» ولم يكن ذلك في رتبته ﷺ، ولكنهما مزيتان خصهما بهما دون نفسه ﷺ، فإن هاتين المزيتين ثابتتان في حقيقته ﷺ وهو الأصل الجامع وما كان عمر وعمار إلا فرعين منه فأظهر المزية في فرعيه ولم يظهرها في أصله الجامع ﷺ، كمزية إبراهيم عليه الصلاة والسلام لكونه أول من يكسى يوم القيامة من جميع الخلق، ولم تكن هذه المزية فيه ﷺ وكمزية موسى عليه الصلاة والسلام في كونه ذا لحية في الجنة دون جميع الخلق، لم تكن له ﷺ وشفوف رتبته ﷺ معروف، وكحكاية آصف بن برخيا مع سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام، فإنه طلب أن يحضر لديه عرش بلقيس، فقال: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، فإنها مزية اختص بها آصف وهو غير نبي، ومنع منها سليمان عليه السلام لعلو مقامه، وإن أشكل الأمر في قضية آصف وسليمان عليه السلام، حيث كان آصف تلميذه وأخذ عنه الاسم الأعظم، وبقوة الاسم الأعظم فعل ما فعل، والجواب: عن هذا الاشكال إن مقام سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام في شفوف رتبته وعلو درجته لا يحمل مثل هذه المزية، ولا يتأتى له التدلي إليها، لأن مقام النبوة ليس له إلا تلقي ما هو في الحضرة الإلهية من جميع التجليات، ذاتية أو صفاتية أو أسمائية أو فعلية، تلقيه على ما هو عليه لا يخطر بباله أن يغير تجلياً من التجليات، أو يغير لأجل غرضه وارداً من الواردات البارزة من حضرة الحق، بل أدبه في مقامه ثبوته لجميع التجليات طابقت غرضه أو خافته، ولذا لم يكن من النبيين خروج عن دائرة الأسباب الحكمية، ميلاً إلى خرق العادات لقوة كمالهم وكمال أدبهم واستغراقهم في العلم بالله تعالى، وفناء إرادتهم في إرادته تعالى حتى لا تريد إلا ما

أراد، وهذا الوصف لهم وصف ذاتي، استقر عليه مقامهم فلا يزحزحهم عن هذا المقر عن تجلي من التجليات وإن عظم، لأنهم في هذا الميدان قائمون لله بالله، راكضون في هذا المجال، مستغرقون في النظر إلى الله تعالى، فقواهم الله بقوته وأثبتهم بإثباته، وتحملوا أعباء الحضرة الإلهية على غاية ثقلها، وصعوبة مباينتها لأغراض النفوس، ولم يبالوا بما هو دونها، وحال الأنبياء هذا كما ذكرنا من بعدهم عن الميل إلى خرق العوائد، فضلاً عن فعلها ما لم تؤدهم إلى خرق العوائد قياماً بمؤنة تصحيح الرسالة، لتوقفها على خرق العادة الشاهد بصحتها، وهذا الخرق هنا المسمى في اصطلاح المسلمين بالمعجزة حتى إذا فرغوا من إثبات المعجزة، فارقوا خرق العوائد ما لم يكن ذلك بأمر إلهي فيبتدرونه، وإن لم يكن في إثبات الرسالة كقضايا موسى عليه السلام الثلاث: وهي قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ [الشعراء: ٦٣] الآية وقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ [البقرة: ٦٠] الآية وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] الآية، هذه القضايا عن أمر إلهي وإن لم تكن في إثبات المعجزة حيث لا تمكنه مخالفته، وأما الأولياء فما مالوا لخرق العوائد إلا لضعفهم عن تحمل أعباء الحضرة الإلهية، وعدم طاقتهم لصعوبة تجلياتها، فمالوا إلى خرق العوائد ترويحاً لأرواحهم من ضغطة الوأد، وإبقاء على أنفسهم بدوام التمتع ببعض شيء من شهواتها، وهم معذورون فإن الله عزّ وجلّ لم يمدهم بقوة الأنبياء، فلذا لم يتنزل سليمان لفعل هذا الخرق الذي فعله آصف ثبوتاً على مقر مقامه الذي ذكرناه. **فإن قلت**: إذا كان هذا مقامه ولا يرضى لنفسه بهذه المزية لكونها مغايرة لمقامه فلم تدلى لطلب ذلك من الحاضرين؟ **والجواب**: في هذا أن مقامه على ما ذكرناه ولتكن لما كانت منة الحق عليه في ملكه أن سخر له جميع خلقه، كما قال في حقه يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان، كالجواب إلى آخر الآية، وكان آصف من جملة ما هو مسخر تحت حكمه حيث فعل له هذه المزية، وأن الرياح مسخرة تحت حكمه وقد كانت تحمله وجيشه وتقذفه مسيرة شهر غدواً ومثلها رواحاً، كان التسخير له بمنزلة يديه ورجليه في هذا الخلق، ولم يرض التنزل عن مقامه سخر في ذلك من هو مسخر تحت حكم يفعل له ما يريد، وهذه من منة الحق عليه وقد وقع له ذلك بإذن إلهي ليس من غرضه فقط وقلبه ثابت على مقامه والسلام. **وسألته رضي الله عنه** عن معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأحزاب: ٧٢] الآية **فأجاب** رضي الله عنه بما نصه وقال: الأمانة هي القيام بحقوق مرتبة الحق في كلية معانيها خلقية وإلهية، فلم تطق حمل هذا الأمانة السموات والأرض، فأشفقن منها وحملها الإنسان، وهو الإنسان الكامل الذي يحفظ الله به نظام الوجود، وبه يرحم جميع الوجود، وبه صلاح جميع الوجود، وهو حياة جميع الوجود، وبه قيام جميع الوجود، ولو زال عن الوجود طرفة عين واحد لصار الوجود كله عدماً في أسرع من طرفة العين، وهو المعبر عنه بلسان العامة قطب الأقطاب والغوث الجامع، ومعنى قوله ظلوماً جهولاً يعني ظلوماً بتخطيه حدود البشرية وحدود الخلقية، وخروجه إلى القيام بحقوق مرتبة الحق حيث لا أين ولا كيف ولا صورة ولا حد، فإن هذا لا قدرة لأحد عليه إلا الله وحده، فهذا معنى ظلمه لكونه تخطى مرتبة البشرية من الخلقية، وهو لا يقدر لأن الأمر الذي تخطى إليه لا غاية له ولا نهاية، لكون الإحاطة مستحيلة فيه، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] فهذا معنى الجهل والظلم الذي نسب إليه هو أعلى مراتب اصطفاء الحق لعبده، والجهل الذي نسب إليه هو نفي الإحاطة بكنه جلاله، وذلك غاية المعرفة بالله، فإن معرفته بالله وراء خطوط الدوائر كلها، يعني دوائر الصديقية وهي أن كل معرفة للصديقين فلها دائرة تنطبق عليها، وتلك الدائرة هي حدها وغايتها لا تتخطاها، والإنسان الكامل تخطى جميع الدوائر ووصل من المعرفة بالله تعالى إلى حيث لا إطاحة بكنه جلاله، ولا حد ولا كيف ولا أين ولا رسم ولا دائرة، فهو يجول في هذا البحر الذي لا حدّ له، ولو أن جميع الموجودات أمدت من هذا البحر مثقال هبثة لتهدم الوجود بأسره، وصار محض العدم في أقل من طرفة عين، لاحتراقه من هيبة الجلال فليس يطيق القيام في هذه المرتبة وإعطاء جميع تجلياتها حقها إلا الفرد الجامع المعبر عنه بلسان العامة بقطب الأقطاب، ولو جمعت عبادة جميع العالمين ما عدا الملائكة والنبيين والمرسلين والصحابة، وجمعت تلك العبادة كلها من منشأ العالم إلى النفخ في الصور، ما عدلت من عبادة قطب الأقطاب في هذه المرتبة مقدار طرفة عين من عمره. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه والسلام.

وسألته رضي الله عنه عن معنى قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩] **فأجاب** رضي الله عنه بقوله: اعلم أن معنى الآية على طريق التأويل، أن ذلك في أفعال المختارين فيما تتعلق به أغراضهم

مما يريدون نفيه أو إثباته، ونفعه أو إضراره، كل ذلك يمحو منه ما يشاء فلا يقع منه شيء في الوجود مما تعلقت به أغراضهم، ويثبت منه ما يشاء فيظهر وجوده أو نفيه مرسوماً في لوح الظهور، فهذا هو المحو والإثبات، وأما ما تعلقت به إرادته كله ثابت لا محو فيه، ومن بعض معانيها ارتسمت المقادير الإلهية في اللوح المحفوظ فكان منها ما محاه بعدما أظهر رسمه لكونه متوقفاً على سبب أو زوال مانع، ومنها ما أثبته وأظهره في لوح الوجود لكونه نفذ به حكم مشيئته، والأول لم ينفذ به حكم المشيئة، ثم اللوح المحفوظ منقسم إلى ما هو أم الكتاب، وكل ما هو فيه واقع ثابت لا يمكن تحوله، وإلى ألواح المحو والإثبات من غير أم الكتاب، وفيها ما كان مطابقاً للمشيئة الإلهية كان ثابتاً لا محو فيه، ومنها ما لم يطابق المشيئة الإلهية وإنما أظهره سبحانه وتعالى في اللوح المحفوظ موقوفاً على شرط أو سبب من حيث له شرطه أو سببه لم يقع منه شيء وهو لم يقع في حكم المشيئة، ومن بعض معاني الآية على طريق التأويل أيضاً يمحو الله ما يشاء من أعمال المكلفين، ما كان حسناً أحبطه وأبطله وما كان سيئاً غفر، ومحاه، ويثبت في هذه الأفعال ما كان منها حسناً أثبته وأثاب عليه إثابة تامة، وما كان سيئاً أثبته وعاقب عليه عقوبة تامة، ففيه يمحو الله ما يشاء ويثبت. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه.

وسألته رضي الله عنه عن معنى قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] **فأجاب** رضي الله عنه بقوله: أما في بساط الشريعة يعني ويحذركم الله نفسه بالخوف منه وعدم الأمن من مكره في جميع عطاياه إليكم من النعم، ودفع جميع المضار عنكم من النقم، وبسط ذلك عليكم على ممر الليالي والأيام، فاحذروا من مكره في ذلك الحال فإنه لا يأمن مكر الله إلا من حق عليه عذاب ذي الجلال، وأما في بساط الحقيقة ويحذركم الله نفسه يعني من البحث والاطلاع والطلب على كنه الذات، فإن ذلك غير لائق بكم لأنكم لا تطيقون ذلك الأمر، فاحذروا من حلول نزول البلايا بكم بطلبكم ذلك الأمر، وقفوا عندما حد لكم من أمر الشارع ﷺ. انتهى ما أملاه علينا رضي الله تعالى عنه.

وسألته رضي الله تعالى عنه عن معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩] الآية **فأجاب** رضي الله تعالى عنه قال: اعلم أن الخلافة تقدم الكلام عليها في بعض الأجوبة، فمن أرادها فليطالعها وأما النفخ فالمراد وضع الروح في الجسد وسمي نفخاً لأنه من النفس الرحماني، وإضافة الحق إلى نفسه إضافة الخلق، وإضافة الاختصاص بمعنى أنه مخلوق وأنه مخصوص منه بعظمة العناية والمحبة والتكريم، وإعلاء الرتبة على جميع ما عداه من المخلوقات، هذا وجه الإضافة في قوله تعالى (**روحي**) والمذكور ههنا هو الروح الحيواني المدبر للأجسام، المظهر لصورة الحياة فيها، وهذا الروح هو المنفوخ في جسد آدم عليه الصلاة السلام، ثم في طيه الروح القدسي اللاهوتي الذي استوجب لروح الآدمي به الكمال والعلو على جميع المراتب الخلقية، بحيث أن لا يضاهيه شيء من المخلوقات في ذلك الكمال والعلو والروح القدسي، هو منفوخ في روح آدم لا في جسده فإن الروح الحيواني منفوخ في الجسد وبذلك الروح استوجب الجسد الحياة والعقل، وجميع ما يشتملان عليه من العلم والحس والحركة والتخيل والفكر، الخ ما يستوجبانه من المعاني، وأما الروح القدسي فهو منفوخ في الروح الحيواني من آدم، فكما أن الجسم من آدم قارورة لروحه الحيواني، كذلك روحه الحيواني قارورة للروح القدسي، وبذلك الروح القدسي استوجب الروح الحيواني من آدم العلو والكمال على جميع المراتب الخلقية، وكان الروح الحيواني بسبب الروح القدسي حيا حياة أبدية، لأن الروح الحيواني ما فيه إلا ما أعطى للجسم من الحياة والحس والحركة، وما معها من المقتضيات واللوازم ليس في الروح الحيواني، وما هو زائد على هذا، وأما الروح القدسي فإنه أعطى الروح الحيواني كمال العلم بالحضرة الإلهية، وما هي متصفة به من العظمة والكبرياء والعز والجلال والعلو والتعالي، وما هي مشتملة عليه من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأعطاه أيضاً كمال العلم، بما تستحقه الحضرة الإلهية من كمال الأدب وكمال التعظيم والإجلال، وكمال المحبة والاعتناء، وكمال الانقطاع إلى الله تعالى والفراغ من ملاحظة الحظوظ ومن الالتفات إليها، وأعطاه العلم أيضاً بما يراد منه ولماذا خلق، ومحله في كل دورة من الدورات الزمانية والحالية والقدرية، وعرفه حقيقي الأدب الذي يراد منه في كل محل من ذلك، وبسبب هذا الذي أعطاه الروح القدسي للروح الحيواني، صار الروح الحيواني خليفة الله تعالى على جميع العوالم، يحكم فيه بما يريد ويتصرف فيها بما يشاء، فتستجيب لله طائعة من غير استعصاء، ولا يكون هذا إلا لأحدية الحق وحده، ولما أعطى الروح الحيواني الكمال الذي ذكر أولاً صيرها خليفة له على جميع العوالم، يحكم فيه كحكمه ويجري أمره فيها كجريان أمره، وليس

هذا لشيء من العوالم غير الروح الآدمي، وهذه هي حياة الروح الحيواني بسبب نفخ الروح القدسي فيه، وهذه الحياة هي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] الآية، فهذا نفخ الروح في آدم عليه السلام، وإنما كان الروح الحيواني حياً بهذا النفخ، لأنه بدونه كسائر أرواح الحيوانات ليس فيه زيادة عليها من الكمال وغيره، وأما الروح القدسي فهو نور عظيم الشأن، يفيض من حضرة الحق، يأتي حاملاً لما لا غاية له من الأنوار والأسرار والعلوم، فإذا استقر في الروح الحيواني أعطاه ما ذكرنا أولاً من الكمالات، وصيره خليفة لله على خلقه كما ذكرنا وإذا عرفت هذا وتأملته، عرفت رتبة الإنسان وعلوه على جميع العوالم، وعرفت الكامل منه وما لا كمال فيه، وعرفت الحي والميت من الإنسان، وأما أمر الله للملائكة بالسجود له، فهو إشارة إلى إظهار علو رتبة آدم على جميع العوالم، وخصوصيته عند الله من دونهم، لما لا غاية له من عناية الحق به، ومحبته له، وتعظيمه إياه، إجلالاً له، ما لم يعط غيره من المخلوقات شيئاً من ذلك، وإلى هذا الإشارة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ إلى قوله: ﴿تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠] والسلام. انتهى من إملائه رضي الله عنه.

ومما سأل به سيدنا رضي الله عنه بعض الفقهاء في مجلسه قال رضي الله عنه: ما معنى قوله تعالى في حق سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه: ٦٧] فكيف يستقيم خوف موسى من السحرة وفعلهم، مع كونه إنه لا يخاف غير الله تعالى، ولا يكترث بهم، ولم يكن عنده ريب في أنه مبعوث من عند الله تعالى بحجة عينية قاطعة لجميع وجوه الريب، مع علمه أنه منصور بالله للعلم القطعي الذي عنده من وعد الله الصادق الذي لا خلف فيه لقوله تعالى: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِى﴾ [المجادلة: ٢١] وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣] فكيف يستقيم الخوف في قلبه مع علمه القطعي بهذا الأمر، ومع كمال علمه أن الباطل لا يثبت لظهور الحق، كما قيل في المثل السائر للحق جولة وللباطل صولة، فإذا جاء الحق بجولته ذهب الباطل بصولته، فكيف يتأتى منه ما ذكره الله عنه من الخوف مع كمال علمه بالأمور التي ذكرناها؟

فأجابوه بما ذكره المفسرون في الآية فقال: ليس ذاك والجواب عن هذا المحط أن خوفه عليه الصلاة والسلام، لم يكن من وجه من الوجوه التي ذكرت وإنما خوفه مما هو معلوم عند الأكابر العالين من أهل الحضرة الإلهية، أن لله سبحانه وتعالى تنزلات بحكم القهر لعبيده الخاصة وتلك التنزلات يذيقهم الله فيها من مرارة قهره وفساحة يأسه على ما هو مضمون عنده في حضرته، أن للخاصة العليا عنده تنزلات تشبه في وقائعها شدة انتقامه من الكفرة من خلقه، وليس ذلك ازدراءاً بمراتبهم ولا إسقاطاً لعظيم وجاهتهم عنده، وإنما حقيقة تلك التوقعات أنه لا بدّ لمن اصطفاه الله لمحبة ذاته، أن يذيقه ضرباً من المرارة لتكون المرتبة عالية من أن يطمع بها ضعفاء السفلة من الناس، حتى يظفر بها ولا يتمتع بها إلا من هزته صواعق تلك القوقعات، وليعلموا أن المرتبة صعبة المدرك عزيزة المنال لا يظفر بها إلا من ذاق مرارة تلك التوقعات، فإذا علمت هذا عرفت طريق تنزل البلاء على النبيين والأولياء، فهو من هذا المأخذ، وأن موسى عليه الصلاة والسلام، كان تام العلم بهذه التوقعات تتراكم فيها صواعق البلاء على الأكابر على قدر مراتبهم، فلما تبدى له ظهور السحر في صور تلك التخيلات، التي أرته حركات تلك الجمادات، وهي العصي والحبال فإنهم جاؤوا بها في معارضة شمس النبوة وتغطيتها، وكان في نفسه أنها لا تثبت كما تقرر، أنه لا بقاء للباطل مع الحق فلما رأى ظهورها ظهرت بين يديه للعام والخاص تخوف في نفسه، أنه تجلى بظهور البلاء عليه، بظهور سطوة الأعداء عليه، إذا ظهروا عليه بسلطان سحرهم وعجزه عن دفعهم، كما في قضية إبراهيم عليه الصلاة والسلام، حيث ظهر نصر الأعداء عليه حتى قذفوه في النار، ولا ناصر له فخاف أن يكون ذلك الوقت الذي ظهر فيه السحر، مثل وقت إبراهيم حيث ظهر سلطان الأعداء عليه حتى قذفوه في النار ولم يجد حيلة ولا ملجأ، فخاف من مثل هذا البلاء في وقته فإنهم إذا ظهروا عليه بذلك وغلبوه ظهر علوهم عليه وانخفاضه تحت حكمهم، يتصرفون فيه كيف شاؤوا، وكما وقع لإبراهيم تصرف فيه الأعداء كيف شاؤوا ولم يجد نصرة، كذلك موسى خاف من ظهور الأعداء عليه وعلوهم عليه بظهور سلطانهم عليه وعدم قدرته على الانتصار منهم، فهذا هو خوفه الذي تخوفه فسمع خطاب الحق عن هذا بقوله: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٨]، يعني لا يظهرون بعلوهم عليك ولا يستشفون بسلطانهم لديك، ثم زاده بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟﴾ [طه: ٦٩] فانظر إلى كمال

صدق وعد الحق سبحانه وتعالى قال له: ﴿لَا﴾، فلما وقع من العصا ما وقع، ألقي السحرة سجداً قالوا آمناً برب هارون وموسى، انقشعت سحابة الأعداء وظهر ذلهم وهوانهم إذ كانوا يرجون العلو بظهور السحرة على موسى وإبطال السحرة لمعجزته، فلما وعده الحق سبحانه وتعالى وأخبره أظهر الله ذل الكفرة بإيمان السحرة، وظهر من العصا أمر عظيم فلما فرغت من تلقف السحر، قصدت فرعون على كرسيه إذ كان يدعي الألوهية وظهور سلطان الغلبة فلما رأى العصا توجهت بشرها نحوه، وتيقن أنها تملكه مع عجزه عن نصرة نفسه، فر هارباً وقفز عن كرسيه، قالوا ضرط سبعين ضرطة وهو هارب إلى داره، فبطل ما كان يدعيه من ألوهيته، فهذا وعد الحق الذي وعد به موسى بقوله: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وقد يورد هنا إيراد وهو أن يقول قائل: لا يصح ما ذكرتم من الخوف في نفسه بعد أن سمع كلام الحق في وقت الرسالة قال له: سنجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون، فلا يصح ما ذكرتم من الخوف بعد سماعه لهذا الخطاب، قلنا: الجواب عن هذا أن للأكابر علماً ثابتاً من وراء العلم الذي ظهر لخلق الله تعالى، ما لا يتناوله الوعد الذي وعده لكمال علمهم بالله تعالى، وشاهد هذا أنه ﷺ، وعده الله تعالى بظهور سلطانه على قريش وغلبته عليهم ودخولهم تحت حكمه بوعد صادق لا خلف له، ثم لما رآهم يوم بدر تصوب من كثيب الرمل آتية لبدر، قال ﷺ: **«اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٍ جَاءَتْ بِفَخْرِهَا وَخُيَلَائِهَا تُحَادكَ وَتُكَذبُ رَسُولَكَ اللَّهُمَّ نَصْرَكَ الَّذي وَعَدتَنِي»** ثم لما سوى الصفوف للقتال، انعزل ناحية وحده في العريش يستغيث بالله، وينادي: **«يَا حَيُّ يَا قَيُومُ اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكَ هَذِهِ العِصَابَةَ فَلَنْ تُعْبَدَ فِي الأَرْضِ أَبَدًا»** وأبو بكر قائم على رأسه بالسيف خوفاً أن يميل عليه الكفار، إذا اشتغل المسلمون عنه وجعل يقول له: دع مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك به، ولا يقلع عن مناشدة الله تعالى والاستغاثة به، فيقال: كيف حصل له هذا الخوف، وهل هو على يقين من وعد ربه؟

قلنا: وقع خوف مما ذكرنا من كلام علمهم بالله تعالى أن في دائرة علم الله ما لا تحيط به العقول فمن هذا توقع خوفه ﷺ، وكقول شعيب عليه الصلاة والسلام، حيث طلبه قومه بالرجوع إلى ملتهم، قال عليه الصلاة والسلام: وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا، قال هذه القولة مع كمال علمه بالعصمة من الكفر ولكن علمه بالوجه الآخر من عدم الإحاطة بعلم الله فهذا هو الذي أوجب الخوف لموسى والنبي ﷺ. انتهى ما أملاه علينا من حفظه ولفظه رضي الله عنه.

وكذلك سأل سيدنا رضي الله عنه بعض الطلبة عن معنى هذه الآية الكريمة في حق سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام، وهي قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠] قائلاً ما الحكم في قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ [الصافات: ٣١] الآية، لإشكال فيها من النسيان الذي وقع منه للصلاة حتى فات وقتها، ولا يصح للنبيين عليهم الصلاة والسلام أن يشتغلوا عن أمر الله بغيره، ولا تتأتى لهم الغفلة عن الحضرة الإلهية حتى تفوت حقوقها، والإشكال أيضاً من قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣] وذلك فساد في الأرض، فلا يتأتى ظهور الفساد في الأرض على يد نبي.

والجواب على الإشكال الأول أن سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام كان في غاية لرعاية آداب الحضرة الإلهية، كما هو شأن النبيين عليهم الصلاة والسلام لا يغفلون عن الله طرفة عين، وفاتته صلاة العصر لاشتغاله بعرض الجياد عليه، وكان هناك في طاعة عظيمة إنما كان معداً لها للجهاد في سبيل الله تعالى، فكانت تعرض عليه وينظر في شؤونها لأجل الجهاد، والجهاد من أعظم القربات في جميع الشرائع، فكان في وقت عرضها عليه في طاعة عظيمة، فإنه كان ينظر في شأن الجهاد فهو جهاد حقيقي وإن لم يكن وقع السيوف معه، لأن نظره في أمر الجهاد واشتغاله به، صيره في جهاد حقيقي يشهد له قوله ﷺ: **«لَا زَالَ العَبْدُ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ»** وقال ﷺ فيمن صلى وجلس في مكانه ينتظر صلاة أخرى في المسجد فهو في صلاة قال: **«فَذَلِكُم الرِّبَاطُ»** قالها ثلاثاً والرباط معلوم فضله في الأخبار، فظهر من هذا أن صورة الطاعة والنظر في تهيئة ما يتقدمها من الشؤون فيما هي محتاجة إليه، أن الناظر فيها كالواقع في تلك الطاعة نفسها عيناً بعين، فكان سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام في نظره في شأن الخيل كأنه واقف في الجهاد في سبيل الله، والواقف في الجهاد إذا طرأ عليه من شدة السيوف، بعض السهو حتى فوت الصلاة نسياناً لا لوم عليه شرعاً، فقد قال ﷺ في يوم الخندق حين كان في موقعه الجهاد وفاتته صلاة العصر، قال: **«شَغَلُونَا عَنِ**

الصَّلَاةِ الوسطَى» أراد أن ذلك إنما كان منه نسياناً لشدة وقع السيوف، فهو في ذلك إنما هو اشتغال بطاعة عن طاعة واشتغال بما هو لله عما هو لله فلا لوم عليه في هذا، إنما يقع اللوم عليه لو كان نسيانه لها لاشتغاله بحظوظه وشهوات نفسه يثبت عليه العقاب اهـ.

وهو إنما كان في الجهاد لله تعالى كقضيته ﷺ في يوم الخندق سواء، ثم إن هناك نقطة لا يتعقلها إلا الأكابر وهي أن الأكابر لهم صدمات من قوة التجلي لسطوة جلاله، فربما أفرطت بهم تلك الصدمة عن النظر في غير تلك الطاعة التي هم فيها لقوة التجلي، لأن المطلوب منهم في الحضرة مراعاة حقوق الأوقات في كل آن، يغفلون عن حق من الحقوق وقد تقع بهم لمات من قوة التجلي الإلهي، فتؤثر فيهم غفلة عن الطاعة التي تأتي بعد مضي وقتها، وهم ذاهلون عنها لقوة ما فيه ومن هذه القضية، سهوه ﷺ في الرباعية من اثنين، حتى نبهه ذو اليدين فقال يا رسول الله: أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟ قال: لم تقصر ولم أنس أخبره أولاً عن الحكم الشرعي أن القصر في الصلاة لم ينزل عليه ولا أمر به فلذا قال لم تقصر ولم أنس، أخبره عن ذهوله عن تمام الحكم لقوة سلطان التجلي، وإلا فما كان يمكن منه التغافل عن الصلاة، لقوة موقعها في الحضرة الإلهية، من كونها آكد الحدود التي يجب مراعاتها وأعظمها اعتناء.

وأما قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣] والإشكال في هذا، أنه كان من أكبر المرسلين قدراً فكيف يتأتى منه قتل الخيل وتقطيعها من غير ذنب منها، يوجب ذلك لكونها غير مكلفة ولا فاعلة باختيارها، لأنها مسخرة تحت حكم غيرها فكيف امتد به الحال حتى أخذ في قتلها، وقتلها في الأرض وهو رسول الله لا يتصور منه ذلك **الجواب عن هذا الإشكال**: اعلم أن الخيل وجميع الحيوانات والأموال كلها مسخرة تحت حكم الآدمي بحكم الإرادة الإلهية، له أن يفعل فيها ما يشاء، إلا أن قتلها بغير ذنب لا يحل، ولكن هذا رسول الله وفعله فيها بالقتل، من كونها شغلته عن أمر الله تعالى بالنظر في أمرها، حتى فاته حق من حقوق الله تعالى نسياناً بسببها، مع كونه لا يسعه ترك ذلك، فتوجه اجتهاده حينئذٍ، أن كل ما شغل العبد عن أمر الله، يجب محقه وإهلاكه، من كونه كان من رجال الغيرة الإلهية، واجتهاده هذا خاص بشريعته لأنه مشرع وإن كان في شرعنا لا يحل، فلا يتعدى نظرنا في شرعنا إلى إنكار ما فعله في شرعه، لكونه رسولاً مشرعاً، وقد أثنى عليه ربنا في الطائفة التي أثنى عليها بالهداية، وأمر نبينا ﷺ بالاقتداء بهم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنعام: ٨٤] إلى آخر ما ذكر من الأنبياء ثم قال في حقهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩] ثم قال بعده في حقهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] وكفى بهذا حجة في تصويب فعله، فلا يعترض عليه فيما فعل لكونه مشرعاً والله أثنى عليه بالهداية فهذا جواب هذا الإشكال والسلام. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه.

وسألته رضي الله عنه ونص السؤال: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً، ساداتنا رضي الله عنه وأرضاكم، وجعل للنظر في الوجه الأكرم متقلبكم ومثواكم، وأطال بقاءكم نفعاً للعباد في جميع البلاد، نصكم الكافي وجوابكم الشافي بما يشفي الغليل ويبرئ العليل في معنى المعية التي وردت في كلام المولى الجليل سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وهو معهم أينما كانوا ونظائرهما، وكذلك معنى القرب في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥] ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] فقد اختلفت أقاويل العلماء لاختلاف فهومهم، فمنهم من قال: معكم بعلمه، ومنهم من قال: معكم بذاته، وكل واحد له أدلة وشواهد إلا أن من قال: وهو معكم بعلمه هرب من التحيز والجهة ومن قال بالذات ألزم له المعارض في زعمه ما يناقض مذهبه فأردنا من سيدنا، أن يبين لنا وجه الحق بنص شاف وجواب كافي ولكم الأجر والمثوبة من الله تعالى والسلام على سيدنا ورحمة الله وبركاته؟

الجواب والله الموفق بمنه وكرمه للصواب، اعلم أن معية الله سبحانه وتعالى لكل شيء من الوجود وقربه لكل شيء من الوجود، صفتان نفسيتان يتبعان ماهية ذاته، كما لا تعقل ماهية الذات ولا سبيل للعقل، إلى شيء من روح الوقوف على حقيقتها، كذلك لا سبيل للعقل لإدراك حقيقة معية الحق لكل شيء وقربه لكل شيء، فهو سبحانه وتعالى مع كل شيء بذاته، وأقرب شيء بذاته، من وجه لا يدركه العقل في هاتين الحقيقتين، فذاته جلّ جلاله متعالية مقدسة عن جميع حدود الجرم والجسم، ولوازمه ومقتضياته، دخول وخروج، وقرب واتصال، وانفصال،

وتحيز واختصاص بجهة، أو احاطة بالظرفية أو صورة أو لون أو كبر أو صغر، إلى ما يتبعه ذلك من كونه جامداً أو سيالاً أو متحركاً أو ساكناً، أو ملء العالم أو في جزء منه، إلى غاية حدود الجسم وهي كثيرة لا نطيل بذكرها ولذا لا يقع عليه الوهم والعقل لأنهما في وقت الفكر، لا يخرجان عن قيود الجسم ولوازمه، فتعينت ماهية الذات العلية من وراء طور العقل والحس والفكر كما قال بعض الأكابر في هذا الحد: لا يتمثل في النفس، ولا يتخصص في الذهن، ولا يتصور في الوهم، ولا يتكلف في العقل، لا تلحقه العقول ولا الأفكار، ولا تحيط به الجهات ولا الأقطار، ولما كان انحصار العقل والفكر في هذه المدارك، لا يخرج عنها طردها ﷺ عن الجولان في هذا الميدان، بقوله ﷺ: **«تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِيهِ فَإِنَّكُمْ لَا تُقَدِّرُونَ قَدْرَهُ»** وحيث كان الأمر هكذا في تحقيق ماهية الذات، فإن معية الحق بذاته لكل ذرة من الموجودات، وقربه لكل ذرة من الموجودات صفتان نفسيتان يتوقف تعلقهما على تعقل ماهية الذات، وحيث كان تعقل ماهية الذات ممنوعاً لا سبيل إليه للعقل والفكر، كذلك تعقل هاتين الصفتين معية وقرب بكل شيء من الموجودات تعقلهما من وراء طور، والعقل والحس فلا اتصال ولا انفصال ولا مسافة للقرب والبعد، ولا أينية ولا حلول ولا مكان ولا دخول ولا خروج، ولا تتعدد الذات بتعددها بالمعية ودونك وجهاً يوضح لك شيئاً من هذا الميدان، إن عقلته فهو في الحادث فقط دون القديم فإن الرجل من أهل الجنة عنده مثلاً من الحور ما يتضاعف على عدد الملائكة بأضعاف مضاعفة، من ذلك يجامعهن في الآن الواحد، ويدرك لذة كل واحدة بانفرادها على اختصاصها في ذلك الآن الواحد، ويجامع كل واحدة منهن جماعاً متمكناً بمحله، الواحد وذاته الواحدة من غير تعدد في ذاته ولا في محله، ولا تعدد للآن الواحد ولا تأخير ولا تقديم ولا اشتراك في ذواتهن في محل واحد، إلا أن تعقل هذا في هذه الدار من وراء طور العقل والحس، لكنه في سعة القدرة الإلهية واقع هذا وإن لم يعلمه أرباب الحدود العقلية، فقد دلت عليه الأخبار الصحيحة بما يتقرر في الحديث، أن معناه أن الرجل من أهل الجنة يجامع نساءه في مقدار يوم من أيام الدنيا ويمكث في جماع كل واحدة مقدار سبعين سنة في اليوم الواحد من أيام الدنيا، فإذا عرفت هذا في حق الحادث وصححته، فخذه سلماً ترتقي به إلى تصحيح القرب والمعية في حق القديم لكل ذرة من الوجود، في كل آن من الزمان من غير تقديم ولا تأخير ولا افتراق ولا تعدد، وفي هذا القدر كفاية لمن تعقل الأمر.

وأما ما وقع في السؤال من الاعتراض بأنه لا يلزم التعدد في ذات الحق، بتعدد الممكنات وممازجته وملابسته للممكنات. الخ **الجواب عن هذا**: أن الخيال الذي يتوهم به هذا الوهم الفاسد، إنما هو في مقام الحس والعقل.

قلنا: إن قرب الحق ومعيته للموجودات، من وراء طور الحس والعقل، لا مطمع للعقل والحس في إدراك حقيقتهما، أعني القرب والمعية ما لم يدركا حقيقة ماهية الذات، وقد قلنا إن إدراك ماهية الذات العلية في غاية البعد عن إدراك الحس والعقل، كذلك هذه المعية والقرب بالذات في غاية البعد من إدراك الحس والعقل، فيبطل هذا الخيال والوهم اللذان يلزم منهما ملابسة الذات. وملابستهما للموجودات وتعددهما بتعدد الممكنات، لأن هذا في مقام إدراك الحس والعقل وقد قلنا إن ماهية الذات العلية وقربها للموجودات، من وراء طور الحس والعقل، وبذلك بطل ما تخيله الحس والعقل من ألزم ما ذكر، وأما القول: بأنه مع الموجودات بالصفات من قدرة وإرادة وعلم إلى آخر الصفات، **فالجواب**: أن هذا القول يستلزم الجهة والتحيز للذات العلية وهو باطل، وبيانه أنه متى حلت معية الذات للحوادث، يلزم أن تكون خارجة عن جميعها، ويلزم من ذلك خروجها عن كورة العالم بأسرها فيلزم: إما أن تكون محيطة بالكون وهو ظرف لها، والكورة في جوفها وهو محال لأن هذا من قيود الجسم، وإن كانت غير محيطة بالكورة فيلزم: إما تخصيصها بجهة من جهات الكورة، إما فوقاً أو تحتاً أو يميناً أو شمالاً أو خلفاً أو أماماً، وهو الذي هرب منه من هرب من الجهة فوقع فيها، لأنه متى قال القائل: بخروج الذات العلية عن كورة العالم، لزم إحاطتها إحاطة الظرف بمظروفه، أو تخصيصها بجهة من جهات الكورة، وكلا الوجهين محال عقلاً فلم يبق إلا أن تكون، مع كل شيء من المحدثات على الوصف الذي يليق بجلال الذات العلية، تنزه وتقدس عما يقولون علواً كبيراً انتهى.

وأما المعية التي وردت في الآيات، إنما بعضها العصمة كقوله تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] وقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] وقوله: ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢] معية النصر والعصمة وكذا قوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥] وقوله: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] وقوله: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩] وكقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [النحل: ١٢٨] الآية فكل المعية في هذه الآيات

إنما هي معية الاختصاص والعناية والنصر والعصمة، وأما معية الذات لا تختص بنصر ولا عصمة، فهو مع كل شيء على أي حال كان ذلك الشيء، مع عدو أو حبيب أو قريب أو بعيد، فهو على الحد الذي ذكر فيها سابقاً والسلام، انتهى ما أملاه عليه سيدنا رضي الله عنه من حفظه ولفظه في مجلس واحد أدام الله علاه بمنه وكرمه آمين.

وسئل سيدنا رضي الله عنه عن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١] **فأجاب** رضي الله عنه بما نصه قال: البلاء على ضربين، بلاء يكون امتحاناً واختباراً، مثل قوله تعالى: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤] ومثل قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١]. وأما البلاء غير الامتحان فيه مجرد العذاب مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] وأما قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ [محمد: ٣١] هذا العلم ههنا، علم الظهور لا العلم الأصلي، لأن العلم الأصلي محيط بهم، وبما يقع منهم وما يصدر منهم وما يؤول إليه أمرهم، وهذا العلم كامن لا يظهر في الوجود بخلاف علم الظهور، ومثل علم الظهور هو الوقع في قوله تعالى: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [التوبة: ٧٥] فلما آتاهم من فضله بخلوا به، وتولوا وهم معرضون فضحتهم وأظهرت ما هم عليه، فهذا هو علم الظهور والسلام. انتهى ما أملاه علينا سيدنا رضي الله عنه.

وسألته رضي الله عنه عن معنى قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] هل المراد من تعليم الله لآدم أسماء الله تعالى كلها، إحاطياً كلياً من أسماء الله الظاهرة والباطنة، والتي استأثر الله بها عن جميع المخلوقات، حتى النبي ﷺ، أو خاصاً بالأسماء التي يطلبها الكون، فإن قلنا خاص بأسماء الكائنات، فما فائدة قوله كلها وإن قلنا بالإحاطة فكيف مع علمنا أن النبي ﷺ أعلى من آدم وأكمل؟ **فأجاب رضي الله عنه بقوله**: اعلم أن الأسماء التي علمها الله لآدم هي الأسماء التي يطلبها الكون، والكلية المذكورة فيها هو إحاطته بجميع متعلقات الكون، حتى لا يشذ عليه منها شيء، يشهد لهذا قوله سبحانه وتعالى في كلية الأسماء حيث عرض صورة الكائنات على الملائكة وقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] فدلت هذه الآية على أنها الأسماء التي يطلبها في الكون، بدليل قوله أسماء هؤلاء وهي صور الأكوان، وأما الأسماء الخارجة عن الكون فلا تمكن الإحاطة بها ولا نهاية لها، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] فإن العارفين والأقطاب والنبيين والمرسلين، مع فتحهم في المعرفة ينكشف لهم في كل مقدار طرفة عين، من أسماء الله الباطنة أمر لا حد له ثم يبقون على هذا الحال أبداً سرمداً في طول عمر الدنيا، في طول عمر البرزخ، وفي طول عمر يوم القيامة، وفي طول عمر الأبد، في الجنة بلا نهاية، في كل مقدار طرفة عين ينكشف لهم من أسماء الله الباطنة ما لا حد له ولا غاية في طول هذه المدة، ولا نهاية لانكشاف الأسماء على طول أبد الأبد، فكيف يقال أحاط بها كلها وإنما الكلية في الأسماء التي يطلبها الكون فقط، انتهى.

وأما السبب الموجب لسجود الملائكة لآدم، فالكلام فيه من وجه التحقيق أنه غيب لا يدرك إلا بالنص القطعي، ولا نص فلا مجال في هذا الميدان يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣] إلى قوله: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] فإن الله لم يعلمنا بالسبب الذي وقع السجود به لآدم، وذلك محجور في حجره سبحانه وتعالى، لا مجال فيه للعقول. لا تقول لأجل الخلافة ولا لغيرها بل نسكت حيث لم يذكر شيء في سببه.

وأما تفضيل الملك على الآدمي أو العكس؟ **الجواب**: اعلم أن هذا الأمر لا مجال فيه للعقول، من طريق النظر والتخمين والقياس والحق الفصل في ذلك، أن التفضيل واقع باختيار الله سبحانه وتعالى وحكم مشيئته، يفضل من يشاء بلا علة ولا سبب، أو بعلة أو سبب أو بأي شيء يريده أو بلا شيء، سواء كان المفضل عالي الرتبة على المفضول لقوة كماله، أو كان المفضل سافل الرتبة على المفضول لقوة كمال المفضول، وجمعه للكمالات وهذا التفصيل بين الملك والآدمي ما عدا سيد الوجود صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، فإنه أكمل المخلوقات على الإطلاق وأفضلهم عند الله تعالى على العموم من غير تخصيص، وأعلاهم رتبة ومكانة عند ربه، وأكرم الخلق على الله تعالى، وأعظمهم زلفى لدى الله تعالى، فلا يقع عليه هذا الخلاف، ففضله الله تعالى واصطفاه واختاره ورفع مكانته على الخلق، لا لشيء بل بمحض اختياره قال سبحانه وتعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

وأما الملائكة هل لهم النظر في وجه الله تعالى في الآخرة أم لا؟ **الجواب عن هذا**: أنه لا نقطع فيه لا بالنفي ولا بالإثبات لتوقف ذلك على اختياره سبحانه وتعالى، فلا علة إن شاء جعلهم يرونه كالآدمي وإن شاء منعهم، ولا مستند لهذا إلا الخبر الصحيح والخبر الصحيح لم يقع منه شيء في هذا الباب فلا يجاب عنه لا بنفي ولا بإثبات، يجب الوقف، وهل لهم وجهة واحدة أو وجهات، فإن أردت توجهات الاسمية فليس لكل ملك إلا اسم واحد، يكون من ذلك الاسم وجهته للحق فليس له في هذا الميدان إلا وجهة واحدة، وإن أردت بالوجهة وجهة التعبد لله، فوجهة الملك والآدمي على حد السواء إلى الحضرة الإلهية، واختلف في وصف الملائكة، هل هم أرواح مجردة أو أجرام بسيطة فهذه حقيقة الملك عند المتكلمين، وجميع سكان السموات الأرضين وما فيهن من الملائكة وغيرهم كلهم يموتون في نفخة الصور، إلا من شاء الله تعالى ثم قال بعد هذا رضي الله تعالى عنه: ليس لكل موجود إلى الله تعالى من جميع المخلوقات جناً وإنساً وملكاً ليس له إلى الله تعالى إلا وجهة واحدة، ما عدا العارف بالله تعالى فلا تحصى توجهاته في سائر الأوقات، وهذا التوجه يعني في الآن الواحد فإن توجهاته لا حد لها ولا حصر، بحسب ما انكشف له من أسماء الله تعالى في باطن حضرته، فليس توجهه إلى الله تعالى إلا على قدر ما انكشف له من صفات الله تعالى وأسمائه، فله في كل اسم وجهة خاصة لا تشترك مع الاسم الآخر، فهو في الآن الواحد مثلاً، إن كان من الأكابر يعبد الله تعالى في الآن الواحد، بما لا تستوفيه المخلوقات في سنين متطاولة، ومن ههنا تعرف حقيقة ما يشير إليه ذو القرنين في قوله: إذا كان الله غاية الغايات فالمعرفة به أجل العبادات، وشاهد ذلك قوله ﷺ: **«ما عُبِدَ الله بِشَيءٍ أَفضَلُ مِن فِقْهٍ في الدِّينِ وَلَفَقِيهٌ واحِدٌ أَشَدُّ على الشياطِينِ مِن أَلفِ عَابِدٍ»** انتهى. ويشهد له أيضاً قوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم في الحديث القدسي: **«لَمْ تَسَعنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي وَيَسَعنِي قَلْبُ عَبْدِي المُؤمِنِ»** فهذا معنى اتساع التوجهات إلى الحق، فالعارف يعبد الله في كل آن بما لا حد له ولا غاية، حتى قال الجنيد رضي الله عنه: لو أقبل مقبل على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة واحدة، لكان ما فاته في تلك اللحظة أكثر مما أدركه في ألف سنة، وهكذا هذا الترقي دائماً للمعارف بالله، ومعنى الفقيه المذكور في الحديث هو العارف بالله تعالى انتهى.

واعلم أن حضرة الحق سبحانه وتعالى متحدة، من حيث الذات والصفات والأسماء والوجوه، والوجود كله بأسره متوجه إليه بالخضوع والتذلل والعبادة والخمود، تحت سلطان القهر، وامتثال الأمر، والمحبة والتعظيم والإجلال، فمنهم المتوجه إلى صورة الحضرة الإلهية نصاً جلياً في محو الغير والغيرية، ومنهم المتوجه إلى الحضرة العلية من وراء ستر كثيف، وهم عبدة الأوثان ومن ضاهاهم، فإنهم في توجههم إلى عبادة الأوثان ما توجهوا لغير الحق سبحانه وتعالى ولا عبدوا غيره، لكن الحق سبحانه وتعالى تجلى لهم من تلك الستور بعظمته وجلاله، وجذبهم بحسب ذلك بحكم القضاء والقدر الذي لا منازع لهم فيه، وهذا هو التوجه إلى الله كرهاً يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥] فالوجود كله متوجه إلى حضرة الحق سبحانه وتعالى، بصفة ما ذكرنا فرداً فرداً، وإن الكفار والفجرة والمجرمين والظلمة، فهم في ذلك التخليط الذي خالفوا فيه نصوص الشرع وصورة الأمر الإلهي، فإنهم في ذلك ممتثلون لأمر الله تعالى ليسوا بخارجين عن أمره ومراده، إلا أنهم خرجوا عن صورة الأمر الإلهي ظاهراً وغرقوا فيه باطناً، فإذا عرفت هذا فاعلم أن الكون كله، فرداً فرداً كل ذرة منه مرتبة للحق يحكم فيها بحكم خاص لا يحكم به في غيرها، ويفعل فيها فعلاً خاصاً خالفوا أمر الله ظاهراً ووفوا به باطناً من حيث لا يشعرون، وما يرد عليهم بعد ذلك من الثواب والعقاب والجزاء في دار المآب عذاباً ونعيماً كل ذلك بحسب مشيئة لا مرد لها، لا يسأل عما يفعل فإذا عرفت هذا وتأملته، وجدت كل ذرة في الوجود فرداً فرداً لها توجه إلى الحق خاص بها لا يشاركها فيه غيرها، ربما ماثلتها ذرة أخرى أو ذرات في صفة ما هي فيه من التوجه، فستباينها في أمور أخرى، فأحكم هذا القانون وسر به في جميع أجزاء الوجود من الملك والآدمي وغيره، واعرف كيفية التوجه للوجود إلى حضرة الحق، فإذا عرفت هذا وميزته حق تمييزه، اتسع لك ميدان عظيم من المعرفة بالله تعالى، واتساع تجلياته في الوجود بلا حد ولا حصر إلا أنه تختلط الشريعة والحقيقة في هذا الميدان، والقول الفصل فيها: أنه سبحانه وتعالى هو المحرك لجميع الوجود، والقائم عليهم في كل أمر، والمقيم لهم في كل حركة وسكون، لا يملكون من دونه شيئاً، وما يملكون من قطمير ولا حركة ولا حكم ولا تقديم ولا تأخير، بل هم في قبضته سبحانه وتعالى، وتحت حكم مشيئته يصرفهم كيف يشاء ويقلبهم كيف يريد، فيما يشاء من خير أو شر، أو

نفع أو ضر، أو طاعة أو معصية، أو إقبال أو إدبار، ثم إنه من وراء هذه الحقيقة تجلى سبحانه وتعالى، فجعل تلك الحكمة والشريعة منوطة: بالشروط والأسباب والضوابط واللوازم والمقتضيات، لا انفكاك لشيء في تلك الحكمة عما أراد سبحانه وتعالى، وكل ذلك يجري على قانون المشيئة، ثم رتب في صورة هذه الحكمة، على وجوه تلك الضوابط والروابط، أحكاماً إلهية سماها حدوداً وعقوبات وثواباً وخوفاً ورجاء، لا خروج لأحد عن تلك الضوابط والقيود، وله الحكم والاختيار في كل ما فعل في صورة الحقيقة والشريعة، لا ينازع ولا يقال له لم ولا لأي شيء ولا على ماذا، فليس إلا مد العنق وتغميض العين وخضوع القلب تحت سلطان الألوهية والجلال انتهى.

وأما قولهم لله سبحانه وتعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] مع تعليم الله لهم بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] **الجواب**: اعلم أنهم ما سألوا اعتراضاً ولا رداً للحكم لأنهم من هذا في خوف عظيم، لا يتجاسرون على مرتبة جلاله أن يعترضوا عليه، وإنّما سألوه عن السر الموجب لخلق هذا الخليفة وجعله في الأرض، ماذا يريد به، وقد رأوا ما كان عليه أهل الأرض قبله من الظلم والفساد وسفك الدماء وتعدي بعضهم على بعض، ورأوا ذلك في كل سكن من الأرض منذ خلقت إلى أن قال لهم إني جاعل في الأرض خليفة، ما رأوا أمة في الأرض خرجت عن هذا الميدان فحكموا على الباقي بصورة ذلك وسألوا ماذا يريد بجعل هذا الخليفة في الأرض على ما يقع من ذريته من الظلم والفساد وسفك الدماء قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] لم يعلموا ما أودع الله آدم من أسراره وخزائن علومه، وماذا يريد به ومن ذريته من ظهور أحكام كمالاته وألوهيته، وأنه يريد منهم عمارة الدارين بصورة العذاب والنعيم، وما يتبع ذلك من الأحكام واللوازم والمقتضيات ولم استفهموه وهم يعلمون ما في اللوح المحفوظ ومطلعون على المغيبات؟ **فالجواب**: أنهم ما علموا ما كان في آدم وذريته ولا اطلعوا عليه، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فإنهم وإن علموا ما في اللوح فما أطلعهم على جميع غيوبه أنه لا يحيط بعلمه غيره. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

وسئل سيدنا رضي الله عنه عن بعض حروف من القرآن، قال فيها علماء المعقول إنها زائدة وبعضها مستعارة لحروف غيرها، هروباً مما يعطيه ظاهر اللفظ من العلة والزائد في اللغة هو الذي لا معنى له، وحاشى أن يوجد في القرآن حرف لا معنى له، منها قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] واللام في قوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٦٤] والألف والواو والياء في مواضع كما هي عند علماء الرسم **فأجاب رضي الله عنه**: اعلم أن العلة المستحيلة في حقه تعالى هي، أن لو قدرنا شيئاً يعود النفع منه على الله أو الضر تعالى الله عن هذا علواً كبيراً، فهذه هي العلة المستحيلة في حقه تعالى، وأما العلة التي يعود نفعها أو ضررها على العباد، فهذه جائزة لا شيء فيها لأن حكمة الله التي هي شرائع أنبيائه أظهر فيها سبحانه وتعالى الارتباط بين الأشياء من النسب، والإضافات كالسبب بمسببه والعلة بمعلولها، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾ [النساء: ١٣] الخ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا﴾ [النساء: ١٤] إلى غير ذلك من الآيات والأخبار مما هو كثير في مثل هذا، وكتوقف المشروط على الشرط، فإذا فهمت هذا المعنى في الآيات المذكورات، وجواب الحكم على العباد بما حكم الله به عليهم بقوله ليعبدون، أي وما خلقت الجن والإنس إلا لنحكم عليهم بالعبادة، فمن لم يعبدني منهم عاقبته بعذابي، وكذلك ليطاع، وما أرسلنا من رسول إلا لنحكم بطاعة الخلق له، فمن لم يطعه فأصنع به ما أردت من العقاب وأنواع الهلاك وهذا هو المراد من الآيات وإنّما التبس معناها على من صرفها عن ظاهرها، لعدم التفريق بين الصفتين صفة الحكمة وصفة المشيئة، وعدم الفرق بين العلة التي تجوز والتي لا تجوز، ومن عرف الفرق بينهما زال عنه الإشكال في ارتباط الأحكام الشرعية بعضها ببعض كما قدمنا، فعلى المؤمن أن ينظر بعين قلبه، إلى أن الأشياء بالنسبة لمشيئة الله، عارية عن العلل والشروط والإضافات والنسب والأسباب كلها، وإنّما حكم الله في أزله بما اختاره حكم على هذا سعيداً وهذا شقياً وهذا غنياً وهذا فقيراً من غير علة ولا غرض، وينظر بعين قلبه لما أظهره الله في حكمتها من الارتباطات بين الأمور، ويرى في الظاهر أنه إذا فعل كذا من الخير أعطاه الله كذا من الثواب بمحض الفضل، وإذا فعل كذا من الشر عاقبه عنه، وحروف القرآن ليس فيها زائد، ولكن إذا كان المعنى يؤدي بحرف واحد وركبه في بعض المواضع مع غيره لذلك المعنى بعينه، فيكون الحرفان معاً لذلك المعنى وليس الأخير منهما زائداً، بل الأول والثاني لذلك المعنى المصدر بهما، ولذلك قال صاحب الإبريز عن شيخه رضي الله

عنه إذا زيد حرف في كلمة ولم يزد فيها في موضع آخر والكلمة هي بعينها في الموضعين أو المواضع لفظاً ومعنى، كالألف والواو والياء الزائدة في بعض الكلمات، فالموضع الذي زيدت فيه لسر آخر لم يكن في التي لم تزد فيه، هكذا قال رضي الله عنه. انتهى من إملائه على محبنا في الله سيدي محمد بن المشري حفظه الله بمنه آمين.

وسألته رضي الله تعالى عنه عن معنى الحروف اللفظية والحروف الرقمية والحروف الفكرية، ماذا يوجد عن كل واحد منهم؟ **فأجاب رضي الله تعالى عنه بقوله**: اعلم أن الحروف اللفظية يوجد منها عالم الأرواح معناها: أن كل كلمة شر تلفظ بها خلق منها ملك يسبح الله تعالى، فإن تكلم بكلمة من الخير خلق منها ملك رحمة، وإن تكلم بكلمة شر خلق منها ملك عذاب، وكان من جملة ملائكة العذاب، فإن قدر الله تعالى وتاب من تلك القولة خلعت على الملك الذي خلق منها خلعة وانقلب بها ملك رحمة، والحروف اللفظية لا ظهور لها في عالم الحس، وأما الحروف الرقمية يوجد منه عالم الحس، معناه هو الحروف التي تدرك بالبصر، وأما الحروف الفكرية يوجد عنها عالم العقل في الخيال، معناه يوجد عنها ما يوجد عن حكم التخيل، أما التخيل العامة فلا يوجد منه شيء ويقال فيه تمن، وأما تخيل العارف فكل ما تخيله يوجد في الحين، **ومثاله** ما وقع للجوهري رضي الله تعالى عنه قال: كان عليه جنابة وكان بمصر، خرج يغتسل في النيل وحمل خبز داره للفرن، فأعطى خبزه للفران وذهب للنيل ليغتسل، فلما وقع في وسط النيل واغتسل بعضاً من الغسل، وقع عليه شبه السنة قليلة فرأى نفسه دخل بغداد، وتزوج بها امرأة بقي معها ست سنين وولد له منها أولاد غاب عن عددهم، ثم سرى عنه فوجد نفسه قائماً في النيل يغتسل فكمل غسله بانياً على الذي تقدم، ثم جاء إلى الفرن ووجد الخبز كما أخرجه صاحب الفرن، فأخذ خبزه ورجع إلى داره، ثم أخبر زوجته بالقضية التي وقعت وأخبرها بالقصة كما هي، فمكث شهرين ثم جاءت المرأة التي تزوجها ببغداد تسأل عنه حتى وصلت إلى حارته، فسألت عن داره فقال لها أهل الحارة، من أين تعرفيه فقالت لهم أنا زوجته وهؤلاء أولاده، فقالوا لها ما خرج من ههنا فضربت عليه الباب فخرج فعرفها، فما أنكرها فسأله أهل الحارة ماذا تقوله هذه المرأة فقال لهم إنها زوجتي وهؤلاء أولادي منها، ثم دخل على زوجته وقال لها: المرأة التي ذكرت لك ها هي قد جاءت بأولادها ودخل بها لداره.

وأما العارفون فلهم تصرف بالحروف الرقمية ولهم تصرف بالحروف اللفظية ولهم تصرف بالحروف الخيالية، والتصرف الرابع يسمونه التصرف بالجانب الأحمى، ولا يعلم هذا التصريف إلا الرسل دون الأنبياء، جعله الله محل أسراره وهو موضع النسب الإلهية، وكل رسول بعث إلى قومه أطلعه الله تعالى على بواطنهم من الطبع وما دارت عليه جبلاتهم، فعاملهم بحسب طباعهم ليدوم قيامهم بالتكليف، فإنه لو لم يكن جريه على طباعهم لبطلت رسالته من أول وهلة، فما في علم كل رسول إلا معرفة طباع الأمة التي أرسل إليها فقط، ولا علم له بطباع غيرهم فلذا لم تعم رسالتهم إلا ما كان من نبينا ﷺ، فإنه أطلعه الله سبحانه على طباع الوجود كله فهو يعامل كل طائفة على حسب طبيعتها، يشير إلى هذا قوله ﷺ: «**حَدِّثِ النَّاسَ بِمَا يَفْهَمُونَ أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**» والحديث الآخر قوله ﷺ: «**يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا وبَشِّرُوا ولَا تُنَفِّرُوا**» وقوله ﷺ: «**الخَيْرُ عادةً وعَوِّدوا كُلّ بَدَنٍ ما اعْتَادَهُ**» وأسماء الله تعالى إنّما قامت بالحروف والحروف كلها قدسية في كلامه تعالى وفي صورة علمه، وكلها قديمة أزلية لأنها وجدت في كلامه وفي علمه وتكلم بها الحق جل جلاله بقوله ألم حم عسق كهيعص طس ق ن إلخ، الحروف فكلها قديمة بقدم الذات وليس قدمها ما يوجد في ألفاظنا، ويكتب ببياننا ويتصور خيالنا فليست هي الحروف التي نقول، ولكن الحروف القدسية ما كانت هذه الأمور دالة عليها فقط فالحروف اللفظية والبيانية والخيالية، هي دالة على تلك الحروف القدسية التي بها كلام الحق، إذ لولا صورة الحروف القدسية ما عرفت صورة الكلام، ولا تميز بعضه من بعض ولا عرفت معانيه، فإن التمييز فيه بالحروف فإن قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٦] مخالف لقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٢] فالفرق بين إبليس وعيسى الأمر الإلهي بقوله: ﴿كُن﴾ [يس: ٨٢] فبالحروف ظهرت الأسماء الإلهية ما في الوجود كله، إلا ما قال له الحق سبحانه وتعالى كن، والوجود كله كلمات الحق، فزيد مثلاً وبكر وخالد وعمر وكلها كلمات الحق وعن كلمة الحق وجدت الموجودات كلها فما فيها خارج عن هذا الميدان فأسماء المسميات من الوضع الإلهي، وكذا وضع اللغات وأساميها هي أوضاع إلهية وضعها الحق وأجراها على الألسنة فلو اتفق الوجود كله على أن يضعوا اسماً أو لغة لعجزوا، ولكن الحق سبحانه هو الواضع لها وسماها بأسمائها.

وأما الكلام الأزلي فهو بحروف قدسية منزهة من الآلات التي يقع النطق بها، وهي واقعة في كلام الله تعالى يعني الحروف، وأما ما قالوا من أن الكلام الأزلي من غير حرف ولا صوت، أرادوا به طرد المعتزلة عن قواعدهم، فإن اتباعهم لتلك القواعد نفوا بها الكلام الأزلي البارز من الذات المقدسة، وجعلوه سبحانه وتعالى ليس بمتكلم والقرآن يكذبهم فإنه أخبر في القرآن بقوله عن موسى عليه السلام: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤] فإن الكلام لو برز من ذات أخرى غير الذات، لكانت تلك الذات المتكلمة هي المعبودة وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فإنه لا يقدر أحد من الموجودات أن يقول إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني إلا الذات المقدسة، فإن هذا صريح في تكذيبهم فيما يدعوه من نفي الكلام الأزلي عندهم، قبحهم الله فقد قالوا إذا أراد الحق أن يتكلم، ألقى الكلام في ذات من الجمادات مخبرة عنه بضميره، وهذا في غاية البعد فإنا لو سمعنا كلاماً من جماد تكلم وقال: إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني لكان ذلك الجماد هو الإله لا لإخباره بضمير المتكلم، وما يقدر أن يفوه به مخلوق إلا الذات المقدسة، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. والكلام الأزلي ليس فيه تقديم ولا تأخير ولا حصر ولا مادة ولا كيفية، إذا برز الكلام بعينيه يعني كلام الحق من حيث ما هو هو، وسمعته زالت عنك الألباس كلها، وهي القيود ورأيت الوقت حينئذٍ ذلك الوقت الذي كان قبل وجود الكائنات، أنت فيه الآن، وهو الوقت الذي كان في الأبد هو الآن أيضاً، وأما الألباس وهي القيود التي في الكلام الأزلي فإنّما هي وقت الحجاب فقط لا غير، قال ابن العريف رضي الله عنه يقول في الله تعالى: ليس بينه وبين العباد نسب يصطفيهم لأجله أو يعطيهم لأجله، ليس إلا العناية وهي المشيئة ولا سبب إلا الحكم ولا وقت إلا الأزل، وما بقي فعمى وتلبيس، ومعنى الأزل هو الذي فيه وجود الحق وحده ليس لشيء فيه نسبة قال ﷺ: **«كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيءَ مَعَهُ فَفِي ذٰلِكَ الوَقْت أعْطَى ما أعْطَى وَفَضَّلَ ما فَضَّلَ فَلَمْ يَبْقَ إلّا الرِضَا والتَّسْلِيمُ لِمَجَارِي الأقْدَارِ»**. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

ومما أملاه علينا رضي الله عنه في محبة الذات العلية قال رضي الله عنه: محبة الذات صعبة المرام ولا تكون إلا للعارف الكامل وفي ذلك قال بعضهم:

تجرعهم كأساً لو ابتليت لظى ... بتجريعه طارت كأسرع ذاهب

وقال الشاذلي رضي الله عنه في هذا المعنى، حين كوشف بالحضرة العلية قال: يا رب لا طاقة لي بهذا فاحجبني عنك فقيل له: لو سألته بما سأله به موسى كليمه، وعيسى روحه، ومحمد ﷺ صفيه، أن يحجبك عنه ما حجبك، ولكن اسأله أن يقويك فسألته فقواني، فعند ذلك لو احتجب عني طرفة عين لمت من البين، ثم قال رضي الله عنه: والناس في هذا على أربعة أقسام: الطائفة الأولى شغلهم اهتمام السابقة، والطائفة الثانية شغلهم اهتمام الخاتمة، والطائفة الثالثة شغلهم اهتمام الوقت ينظر ما توجه عليه في كل وقت، والطائفة الرابعة غرقوا في بحر شهود الوجود المطلق، فلا يلم بقلوبهم ذكر السابقة ولا ذكر الخاتمة ولا ذكر الوقت، ولا يلتفتون لسوى ما هم فيه وفي هذا يقول سري السقطي رضي الله عنه أنا الموقت ثم ينشد:

لست أدري أطال ليلي أم لا ... كيف يدري بذاك من يتقلا
لو تفرغت لاستطالة ليلي ... ولرعي النجوم كنت مخلا
إن للعاشقين عن قصر الليل ... وعن طوله لفي الحب شغلا

وصاحب هذا المقام هو صاحب المراقبة العظمى، هو ارتقابه الحضرة الإلهية وما يبرز منها من التجليات على اختلافها، ويعطي كل تجل منها ما يستحقه من الخدمة والآداب، لا يفرط في شيء منها، ولا يفوته شيء منها، وصاحب هذا الحال لا يعلم الوقت ولا مروره، والسلام، وصاحب هذا الحال أيضاً هو الغريب، والغربة هي شدة التغريب في طلب الحق، فليس معه مساكنة الأكوان ولا ملاحظتها بشيء جوهراً وإعراضاً، فلا تخطر بباله وفيها يقال: حرام عليك الاتصال بالمحبوب، ويبقى لك في العالمين مصحوب وصاحب هذا الشدة تغربه لو تسأل الأيام عنه، لما علمت به ولا عرفت أين هو ولا عرفت مكانه وفيه يقول بعض الأكابر:

تسترت عن دهري بظل جنابه ... فصرت أرى دهري وليس يراني
فلو تسأل الأيام ما اسمي ما درت ... وأين مكاني ما عرفت مكاني

وإلى هذا الإشارة بما ذكر ذو النون المصري عن الشخص الذي لقيه بمكة قال: رأيت فتى يبكي بفناء الكعبة فقلت: ما الذي أبكاك؟ فقال لي: أنا الغريب المطلوب، فما لبث أن خرجت روحه قال فتركته هناك في محل وذهبت أنظر في جهازه وكفنه لأغسله وأدفنه، فلما رجعت لم أجد له أثراً لا وقفت له على خبر، قال: ثم تأسفت وقلت يا رب من سبقني بثوابه فقيل لي هيهات قد طلبه إبليس في الدنيا فلم يره، وطلباه منكر ونكير فلم يرياه، وطلبه رضوان خازن الجنان فلم يره، فقلت: فأين هو؟ فقيل لي هو في مقعد صدق عند مليك مقتدر. انتهى من إملائه رضي الله عنه.

وسألته رضي الله عنه عن معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا﴾ [النساء: ٩٣] الخ مع قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا﴾ [الفرقان: ٦٨] الخ **فأجاب رضي الله عنه بقوله**: اعلم أن الله تعالى ذكر في الآية الأولى وهي قوله: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا﴾ [النساء: ٩٣] الخ ذكر فيها سبحانه وتعالى الوعيد فقط والآية الثانية، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الخ الآية ذكر فيها الوعيد والتوبة، والآيتان محكمتان لا تعارض بينهما إلا لقليل الفهم، يرى المعارضة ولا معارضة، وتحمل الأولى على هذه إلا من تاب والوعيد في تلك الآية لم يتب، وتوبته تسليم نفسه للقتل فإن لم يسلم نفسه فليس بتائب، فإن قتله أرباب الدم ارتفع عنه أحد الوعيدين وبقي أحدهما فما بينه وبين الله ارتفع وما بينه وبين المقتول بقي، وهناك أمر لا يعرفه إلا أرباب القلوب فلا يظهر للعامة، وهو أن القاتلين مختلفون عند الله تعالى ليسوا على قانون واحد منهم طائفة لا تقبل لهم توبة وإن تابوا، ولا يرتفع الوعيد عنهم بوجه من الوجوه، فعلى هذا يحمل قوله ﷺ الثابت في صحيح مسلم بقوله: **«أبَى الله أنْ يَجْعَلَ لِقَاتِلِ المُؤْمِنِ تَوبة»** وطائفة سبق في حكمه في الأزل أنه يقبل توبتهم إن تابوا بسابق العناية فيهم ويغفر لهم ما ارتكبوه من الجرم، وعلى هذا تحمل الآية إلا من تاب، وظاهر ما في العناية باطناً يظهر إما بكونه من الأولياء في الغيب، ثم يدرك الولاية، أو يكون له تعلق بولي عظيم عند الله تقبل شفاعته، والتعلق بالولي إما أن يكون خادماً له صاحباً أو محبر أو أخذاً ورداً أو غير ذلك من وجوه التعلقات كصهره أو نفعه ببعض المنافع، وأما الطائفة الذين لم تقبل لهم توبة وإن تابوا إما بتمردهم على الله تعالى تجبراً وتكبراً في الأرض، وإما لإذايته لبعض الأولياء أو للمساكين، وإما لكثرة ارتكابه للزنا أو لكثرة إذايته للمسلمين، وإما لكذبه على رسول الله ﷺ يقظة أو مناماً، وإما لدعوته الكذب بالولاية، وذكر هذه المعاصي إن تاب منها تقبل توبته، وأما في القتل فلا تقبل توبته إن كان مرتكباً واحداً من هذه الأمور المذكورة والسلام.

ثم قال رضي الله عنه: وأما ولد الزنا لا حسنة له أصلاً ولا دخولاً له للجنة أصلاً ولو فعل ما فعل لأنه لم يتكون من نكاح شرعي، إلا إن صحب أحداً من هؤلاء العارفين وهم مفاتيح الكنوز الأربعة والأفراد الأربعة والقطب والخليفة والإمامان، فمن صحب واحداً منهم واحتمى به، طهره الله وأدخله الجنة إذا خدم واحداً من هؤلاء المذكورين، أو تحاب معه أو صحبه أو أكل معه أو صلى خلفه أو تصرف له في حاجة قضاها والسلام. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

وسألته رضي الله عنه عن معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] **فأجاب** رضي الله عنه بقوله: معنى الآية أن سيدنا موسى عليه السلام طلب رؤية الله وهو التجلي الذي اختص الله به نبينا ﷺ فطلبه من الله قال لن تراني أخبره سبحانك وتعالى بأنه لا يطيق ذلك، ثم أراه الآية في ذلك بالجبل، من حيث أنه أشد منه قوة ضرب له مثلاً فقال له: ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه حين أتجلى عليه فسوف تراني أنت، فلما تجلى ربه للجبل قيل خرق من الحجاب للجبل مقدار عين الأبرة حتى طالع الجلال الذاتي القدسي، فتهدم الجبل من حينه وصار دكاً من هيبة الجلال، فلما رأى موسى ذلك صعق من هيبة الجلال، فلما أفاق قال: سبحانك تبت إليك يعني من هذا ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بأنك لا ترى، وقيل لما كلم الله موسى عليه السلام فقيل له كيف سمعت كلام الحق تعالى؟ قال: لم يكن لموسى شعور بموسى، وسمع كلام الحق بعشرة آلاف لسان، يعني سمع الكلام الأزلي فهم منه عشرة آلاف لسان، ولم يسمع إلا معنى واحداً لكن المعنى الواحد أفهمه الحق تبارك وتعالى في ذلك المعنى الواحد كل لغة وما تسميه به، كالنار مثلاً تسمى بكل لغة بلغتها فاختلفت اللغة بتسمية الشيء الواحد المتحد، وسمع الكلام الأزلي من جهة فسألوه عن هيبة الكلام كيف كان فقال ﷺ: إذا قدرت نفسك واقفاً في محل والصواعق العظيمة مترادفة عليك فعند ذلك يتحقق الهلاك، فهكذا يسمع كلام الرب سبحانه وتعالى، وسألوه عن اللذة فقال أشد

اللذات الوقاع ويزيد عليها بأضعاف مضاعفة والسلام. انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] **فأجاب رضي الله عنه** بقوله السبع المثاني هي السبع صفات التي هي حقيقة باطنه ﷺ وهي: الروح والآدمية والعلم والنبوة والرسالة والقبض والبسط ومعنى قد آتيناك شيئاً هو السبع المثاني وهو القرآن العظيم يقول الشيخ الأكبر: إن القرآن والسبع المثاني الخ، وهذان اسمان متغايران كقولك زيد الطويل السمين اسمان له متغايران. انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

وسألته رضي الله عنه عن أول ما نزل من القرآن **فأجاب** بقوله: أول ما نزل من القرآن هي: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] فإنه أول ما نزل عليه لم ينزل عليه قبلها شيء من القرآن فليس فيها إلا النبوة فقط دون الأمر بالرسالة، ثم أنزل عليه في مبدأ الرسالة: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فخص عشيرته بالتبليغ دون غيرهم، فأولية هذه الآية من كونها أول آية نزلت بالأمر بالرسالة الخاصة دون العامة، ثم أنزل عليه بعد ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢] فهي أول آية نزلت بالرسالة العامة وأما هو ﷺ فما طرأ عليه حجاب ولا جهل، بل كان عارفاً بالله بالمعرفة الكشفية العيانية من بطن أمه، وكذا كل النبيين عليهم الصلاة والسلام على هذا المهيع ما طرأ عليهم حجاب قط، لم يزالوا في مرتبة الصديقية من بطون أمهاتهم إلى الأبد، عليهم من الله أفضل الصلوات وأزكى التحيات. انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦] **فأجاب رضي الله عنه** بقوله: العداوة بين الأربعة آدم وحواء وإبليس والحية فأما العداوة، أصلها اختلاف الأغراض واختلاف الأغراض سار في جميع سكان أهل الأرض، عاقلها وغير عاقلها، فأما العداوة بين إبليس وغيره من الحية فظاهر، لأنه أخرجها من الجنة لما طرد هو من الجنة بسبب آدم، وأما بين آدم وحواء فسببه ما ذكره الله في القرآن من أكله من الشجرة، والعداوة بين الرجل والمرأة فهو اختلاف الأغراض فالمودة بينهما أصلية لقوله تعالى قال: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦] انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

وسئل رضي الله عنه عن سيدنا الخضر عليه السلام هل هو نبي أم لا؟ وهل يجوز في نفس الأمر زيادة غير النبي على النبي في العلم؟ **فأجاب** رضي الله عنه بما نصه: اعلم أن الخضر عليه السلام ولي فقط وليس بشيء عند الجمهور، وقال الشيخ الأكبر رضي الله عنه الخلاف فيه يعني في نبوته عند أهل الظاهر لا عندنا، فإنه عنده مقطوع به من الأولياء لا من النبيين وكذا غيره من الأكابر، وإن كان غير الجمهور يقول بنبوته. قال الشيخ زروق رضي الله عنه، وقد حكى قول بعض العلماء قال ذلك العالم: أن الخضر عليه السلام رسول من رسل الله إلى طائفة في البحر فمن لم يقر برسالته فقد كفر، قال الشيخ زروق مجيباً عن هذا القول سلمنا صحة ما يدعيه ولا نسلم القول بكفر من لم يعتقده، لأن تلك زيادة عقيدة في الإيمان وإلزام لها وهي لم تجمع أمة عليها، ودليل عدم نبوته قول سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام له حيث قال له في خرق السفينة لقد جئت شيئاً إمرا، وفي قتل الغلام لقد جئت شيئاً نكراً إذ لو كان نبياً ما جهله موسى عليه الصلاة والسلام، لأنه تام العلم فكيف يجهل قدر نبي حاضر معه يظنه ليس بنبي، هذا يستحيل على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لوجوب الإيمان به علينا لو كان نبياً، ويستحيل أن يكون جاهلاً بمرتبة في الإيمان واجبة مع كونه يعلم أن لو كان نبياً لعلم أن النبوة معصومة يستحيل عليها متابعة الهوى، والسير في الأمور بمخالفة أمر الله تعالى فهذا مستحيل على النبوة، فلو علم موسى أنه نبي ما تجرأ عليه بقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١] و﴿شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤]، لأنه يعلم أن هذا مستحيل على النبوة لا يتأنى ولا يتصور منها لثبوت العصمة فهذا أكبر دليل على أنه ليس بنبي، وقد روى إبراهيم التيمي رضي الله عنه، وكان أحد الأبدال في قصة تلقيه المسبعات العشر من الخضر إلى أن أخبره بأمرها قال: سمعتها من جبريل حين لقنها للنبي ﷺ وذكر أنه رأى لتاليها خيرات كثيرة في الجنة، ورأى النبي ﷺ في النوم ورؤياه حق لأنه كان من العارفين، لا يدخل رؤياه باطل ولا فساد، قال: رأيت النبي ﷺ في النوم فسألته عما ذكر الخضر عنه فقال: صدق الخضر إلى أن قال له في آخر الحديث: هو سيد الأولياء، فهذا أدل دليل على عدم نبوته.

وأما السؤال الثاني: هل يتأتى زيادة غير الأنبياء على الأنبياء في العلم أم لا؟ والجواب والله أعلم إن زيادة غير

الأنبياء العلم جائزة في نفس الأمر لا إحالة فيه ولا يزري ذلك بمرتبة النبي، إلا أن هناك فرقاً أما في العلم بالله وصفاته وأسمائه وتجلياته وما تشتمل عليه من المنح والمواهب والفيوض، فلا مطمع لغير النبي أن يزيد على النبي في هذا الميدان، فإن النبوة أكبر علماً وأوسع دائرة وأعظم إدراكاً فيما ذكرنا، إذ لو كان غير النبي في هذا الميدان يلحق درجة النبي أو يزيد عليها لساواه في الفضل أو كان أفضل منه، وأما فيما دون تلك المرتبة من العلم بمراتب الكون وما يقع فيه جملة وتفصيلاً وتقلبات أطواره وانكشاف ما سيقع فيه في المستقبل قبل وقته، وهو كشف الغيوب الكونية فإن غير النبي قد يزيد على النبي في هذا الميدان وهي قضية الخضر بعينها وحقية ذلك، أن بصائر النبيين والمرسلين أبداً تنظر إلى جانب الحق، شديدة العكوف والدؤوب عليه فقلوبهم أبداً تنظر إلى الله لا التفات لها إلى الكون، وكان شدة نظرها إلى الله أبداً مشتغلة بتجلياته، لا تلمح بطرفها لغيره، فكل واحد منهم لا همة له ولا عناية له، إلا بما يبرز من الحضرة الإلهية في كل حين وأوان من التجليات والمنح والمواهب والواردات، لتعطي كل شيء مما ذكرنا، حقها من الآداب ووظائف الخدمة لا تفتر عن ذلك حتى لحظة واحدة، فلأصل هذا الاستغراق، لا يلفتون إلى الأكوان ولا يعلمون ما وقع فيها، وأعظم من ذلك الاشتغال بمحادثة الحق لهم، في حضرة قدسه فلا شك أن من ذاق ذلك لم يقدر أن يلتفت إلى غير الله تعالى حتى لحظة واحدة، فلأجل هذا لا يعلمون ما وقع في الكون ولا ما تقلب فيه لاشتغالهم عنه بالله تعالى، وغير الأنبياء لا طاقة لهم على الدوام على هذا الحال إنما هم فيه أحوال تارة وتارة فلأجل ذلك يكثر كشفهم للكون وأموره، إذ لا قدرة لهم على الاستغراق على ما فيه الأنبياء، فإذا عرفت هذا عرفت وجه اختصاص الخضر بكشف الغيوب دون موسى عليه الصلاة والسلام، لأنها غيوب كونية فلا ينتفي زيادة الخضر فيها على موسى لأن موسى شغله عنها ما ذكر، والخضر لا يقدر على ذلك على استغراق موسى في حضرة القدس، ومع هذا فلا حجر على الله في ملكه ولا في حكمه أن يزيد غير النبي في العلم على درجة النبي، فإنه لا تحجر عليه في هذا يهب ما يشاء لمن يشاء كيف يشاء، وله الاختيار التام والمشيئة النافذة لا تأخذه القيود ولا الضوابط ولا يحيط بعلمه محيط، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨] وهذا منه فليس ما ترتب في قلوب العلماء من استحالة زيادة غير النبي في العلم على النبي يلزم أن يحكم به على الله تعالى، إذ هو من باب التحجير عليه والإحاطة بعلمه وليس العلماء شيء من هذا إنما هي قاعدة محكمة في قلوبهم لم يقم عليها دليل، لا من الكتاب ولا من السنة قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه آتاني الله علماً لم يعلم به آدم فمن دونه ويريد بهم النبيين والمرسلين.

وأما قوله تبارك وتعالى حاكياً عن الخضر في قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢] **فالجواب** أن الله تعالى أمره بذلك في سره بعلم قطعي بعلمه من الله تعالى لا واسطة بينه وبينه كما قال في حقه سبحانه وتعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] وهذا أكبر دليل على أنه ليس بنبي، إذ لو كان نبياً ما قال فيه هذا الوصف، ولكن يكفي فيه أن يقول: وجدا عبداً من عبادنا يقول مكانها وجد بعض أنبيائنا لأن مرتبة النبوة هي كافية في أخذ العلم عن الله بلا واسطة، فلما لم يكن نبياً قال له: علمناه من لدنا علماً فلذا قال: وما فعلته عن أمري أخبر أن الله تعالى أمره بذلك في باطن سره من وجه قطعي عنده لا يشك أنه من الحق سبحانه وتعالى، كما قال جل جلاله في حق النحل وهي بكماء وصورتها كأنها لا تعقل قال: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل: ٦٨] أخبر سبحانه وتعالى أن النحل آتاها علماً من لدنه، فما شكت أن الأمر من عنده فيما تفعله، كذلك الخضر عليه السلام، وأما تجرؤه على قتل الغلام بلا قتل نفس ولا ظهور كفر محرم بإجماع الشرائع من جميع النبيين والمرسلين، لتطابق جميع النبوات على هذا في جميع شرائعها، فكون الله سبحانه وتعالى يبيحه للخضر بلا نبوة محال، لأن الحكم المقرر في الشرائع من الرسل عليهم الصلاة والسلام، لا ينحل عقده إلا بنبوة، وأما الولاية فليس في وسعها هذا، وهو أن يحدث الله فيها حكماً قرره في الشرائع والنبوة بدون نبوة فلا يتأتى هذا لكن ذكرنا الدليل عدم نبوته وذكرنا وجه استحالة رفع الحكم المقرر في الشرائع والنبوة في رتبة الولاية بدون نبوة، فلزم حينئذٍ أن تلقى ذلك الحكم من نبي لم يعلمه موسى عليه الصلاة والسلام، وأما قولنا يستحيل على موسى أن يكون نبياً حاضراً معه في مكانه لا يعلم أنه نبي مستحيل هذا في حقه، وأما إن كان نبياً آخر غائباً عنه وهو في زمانه، فلا يستحيل أن يكون لا يعلمه فلا يحيط بعلم الله تعالى والسلام. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

وسألته رضي الله عنه عن معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ﴾

[الحديد: ٢٠] إلى قوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] مع قوله تبارك وتعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٥] مع قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٥٧، ٥٨] فهو اجتماع المدح والذم في شيء واحد، والإزراء بالشيء والتعظيم له في شيء واحد من واحد سبحانه وتعالى محيط بعلم كل شيء، خبير بباطن كل شيء، حكيم، فهو إشكال عظيم، **فأجاب رضي الله عنه بقوله:** اعلم أن الأمرين وقعا في مقامين لكل مقام نسبة تخصه وحدود تحده، فمقام المدح والتعظيم ذكر فيه سبحانه وتعالى، ما صب من نعمه العظيمة وأسدى من خيراته الجسيمة، التي هي من مقتضيات اسمه الرحمن وذا الفضل العظيم، فكان إخباره سبحانه وتعالى ذلك الحد، تعريفاً لعباده بمقادير نعمه، وما متع به خلقه من آثار رحمته، فهو معرف فيها بوجه منته، كما قال: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤] بعد أن ذكر منته التي من بها على عباده، بحكم المنة ووفور النعمة حيث يقول جل جلاله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤] فهو تعريف لعباده بنعمه، إلزاماً لهم بحق الشكر، وليعلموا من ذلك سعة فضله وجوده ورحمته، فهو تعرف بصفاته وأسمائه وهو من آكد الأمور الشرعية، فهذا المقام هو وجه الذكر في هذه الآيات وفي الآية الأخرى حيث ذم الدنيا وسماها متاع الغرور، وبقوله: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧] نقلهم عن الاشتغال عما في المقام الأول صورة يعني صورة ما أبرزه من النعم، إذ كان من مقتضياتها الاشتغال بها عنه واشتغال القلب به عن الانصراف إلى الله تعالى، فنقلهم عن هذا المقتضى سبحانه وتعالى ليشتغلوا به عن غيره، كما قال جل من قائل: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٣] فالمقام الأول دل فيه على التعريف بنعمه وترادف منته، ليشتغل القلب بشكر المنعم عن نعمته، وفي المقام الثاني دل على الانقطاع إليه سبحانه وتعالى وترك كل ما سواه، وإن عظم مواقعه في القلب حيث يقول جل وعلا: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] فلا إشكال بين المقامين، إذ كل مقام له مرتبة تخصه والسلام. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه. **وسئل رضي الله عنه** عن معنى قوله تبارك وتعالى في حكاية سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث قال: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ﴾ [البقرة: ٢٦٠] **فأجاب رضي الله عنه بقوله:** اعلم أن ما في هذه الآية هو أن الله سبحانه وتعالى ما خفي عليه حال إبراهيم عليه السلام، من كونه مؤمناً بأن الله قادر على إحياء الموتى، ولا كان الشك من إبراهيم أن الله قادر على إحياء الموتى، ولكنه عليه الصلاة والسلام أراد الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين، والأمر الواجب في هذا أنه ما تجرأ على هذا السؤال إلا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، لكن خصوصيته من الله تعالى بين الرسل وإلا فما كان يتأتى لأحد أن يسأل عن مثل هذا، فإنه من كشف سر القدر الذي استأثر الله تعالى به عن جميع خلقه، فإن التجليات الإلهية البارزة للوجود ليس لخلقه منها إلا الشهود صورة وعيناً، وأما ما في باطنها من بوارق الأسرار التي لا مطمع أن تنتهي إليها الأفكار، فإن تلك الأسرار انفرد الحق بعلمها سبحانه وتعالى ومن طلبها من خلقه أن يكشف له عن تلك الأسرار طرده، إما عن قربه وهو الحجاب نعوذ بالله منه، وإما عن توقع السؤال وترك الجواب عنه إن كان من ذوي الخصوصية، إما بتأديب شديد بنزول عقوبة به لأن أسرار القدر التي هي بواطن التجليات الإلهية استأثر الحق سبحانه وتعالى بعلمها، لم يكشفها لأحد من خلقه ولذا أدب صاحب الخصوصية الكبرى، وإن عظم مقامه وهو سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام أدبه بقوله: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦] وصفح عن إبراهيم لمكان خصوصيته وأراه سر ذلك بعينه، وهو الذي طلبه إبراهيم وأسعفه بسؤاله سبحانه وتعالى قال: أولم تؤمن؟ فهو استفهام إنكاري، يعني الله عالم بإيمان إبراهيم، ولكنه استفهمه استفهاماً إنكارياً مصدره العتاب، وكأنه يقول له إنك مؤمن بأني قادر على إحياء الموتى، فما وجه سؤالك إن كان لإحياء الموتى، فإنك مؤمن بأني قادر على ذلك وإن كان سؤالك لكشف سري فأنا لا أكشفه لغيري، وقوله: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠] معنى الاطمئنان هو سكون الروع، وتمكن السكينة من الروع من وجود الاضطراب والشك والوهم والوجل، والفرق، فهذا هو الاطمئنان واطمئنان إبراهيم في هذا عليه السلام، بأنه إذا حدثه محدث السر فإن لكل إنسان محدثاً في سره، يخيره أو يوجب له شكاً أو ظناً أو وهماً وهو المعبر عنه بالوسواس، لقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦] ونعلم ما توسوس به نفسه، فإن إبراهيم أراد إذا حدثه محدث السر عن موجب إيمانه، بأن الله قادر على إحياء الموتى يقول له مثلاً: هل رأيته أو لم تره فمن أين يقع لك به القطع بأنه واقع، فأراد طمأنينة قلبه ليجيب سائل السر بأنه رآه بعينه حقيقة والسلام. انتهى ما أملاه علينا سيدنا رضي الله عنه من حفظه ولفظه.

وسئل رضي الله عنه عن معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ ـ ٤] وعن أقسام الوحي وكيفياته **فأجاب رضي الله عنه بقوله:** اعلم أن الله سبحانه وتعالى برأ رسوله ﷺ من جميع تعلقات الهوى وأسبابه، ومعنى الهوى المذموم، هو ما ترتكبه النفس لشهواتها وتكميل أغراضها لا زائد، وقد برأ الله رسوله ﷺ من هذا، بل نفسه ﷺ خلصت إلى موطن القرب وتمكنت من صفاء مشاهدة الحضرة الإلهية، بحيث أن لا تغيب عنها طرفة عين، ولا يشغلها شاغل حتى طرفة عين، والخلاص إلى مواطن القرب هو وصول العبد إلى رتبة حق اليقين، فما يتخلص العبد مع جميع المشاغل وملابسة النقص إلا بالغرق في بحر حق اليقين، فإن رتبة عين اليقين وإن كانت تخلص النفس من جميع البقايا المناقضة لأمر الربوبية، لكونها ليس فيها إلا الربوبية محضاً فصاحبها ناقص النظر، من كونه لا يعطي المراتب حقها ولا يستوفي العلم بخواص المراتب الحقية والخلقية، فلذا كان ناقصاً، وصاحب مرتبة حق اليقين، قد استكمل الخلاص من جميع غبش طباع البشرية، لأنها استهلكت منه في مرتبة عين اليقين، فلما وصل مرتبة حق اليقين أشهده الله تعالى المراتب الحقية والخلقية، فأعطى كل ذي حق حقه ووفى الوظائف والآداب، فما يحيف ولا يميل ولو لحظة إلى متابعة الهوى، ثم مراتب اليقين وهو استهلاك العبد بالكلية، ولم يبق فيه إلا حق بحق في حق عن حق، فلا علم ولا رسم ولا أين ولا كيف، ثم بعد هذا مقام الصحو والبقاء، وهو مقام حق رتبة حق اليقين، ومثال هذه المراتب في الشاهد مثال النار العلم بها عن بعد من كونها محرقة طابخة مسخنة، هذا مثال علم اليقين، والمراد بعلم اليقين هو تبدي الحقائق من وراء ستر رقيق، وأما عين اليقين فهو بمنزلة من وصل إلى النار وكوي بها وذاق حرارتها، فهو مثال عين اليقين، وعين اليقين هو انكشاف الحقائق من غير حجاب ولا خصوصية فهو عين اليقين، ومثال حق اليقين مثال ما ألقي في النار برمته وكانت في غاية القوة والكثرة والالتهاب، فصار يحرق فيها ففي زمن حرقه لا علم له بغيرها ولا يلم في قلبه غيرها، كذلك صاحب رتبة حق اليقين ليس في نظره إلا الحضرة الإلهية، وأن نظر إلى متفرقات الكون فما في الوجود كله في نظره إلا الله سبحانه وتعالى، قد محق منه السوى من كل وجه وبكل اعتبار، ما عنده إلا الله وحده، وأن الله سبحانه وتعالى كان في الأزل، في حجاب الكنزية العظمى، لا يعلمه سواه كما قال ﷺ في الحديث حيث سأله السائل: أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق قال: **«كانَ في عَمى ما فوَقَهُ هَواءٌ وما تَحتَهُ هَواء»** الحديث، وخوض أهل الظاهر في هذا الحديث بتخيلات توهموها لا تعطي من التحقيق شيئاً، لأنهم أخذوا لفظ العمى من السحاب لغة، فإن العرب تسمي السحاب عمى لكونها تعمي الشمس عن النظر إليها، فجعلوا تأويل الحديث أنه كان متجلياً في سحاب، ولم يتفطنوا أن السحاب من جملة الخلق الذي سأل عنه السائل، وإنما العمى في هذا الحديث هو احتجاب الرب سبحانه وتعالى في حضرة ذاته، بما هي متصفة به من العلو الذاتي والكبرياء والعظمة الذاتيين والعز الذاتي، فلا وجود لشيء معه وإليه يشير قوله ﷺ: **«كان الله ولا شيء معه»** وهذه الحضرة الذاتية هي حضرة الطمس والعمى، لا ظهور فيها لاسم ولا صفوة إلا الذات بالذات في الذات عن الذات لا شيء غير ذلك، إليها يشير في الحديث القدسي الوارد عنه سبحانه وتعالى كنت كنزاً لم أعرف فأحببت أن أعرف، فخلقت خلقاً فتعرفت إليهم فبي عرفوني، فالخلق المخلوقون هم ظواهر الأكوان وصورها، وما تعرف إليهم إلا بظاهر الألوهية، والذات في حضرة الطمس والعمى ولا مطمع لأحد في معرفتها لا يعلم ذاته في تلك الحضرة إلا هو سبحانه وتعالى لا غير، والتعريف للمخلوقات بمرتبة الألوهية وهي عكوف الوجود على عبادته سبحانه وتعالى، بالخضوع تحت كبريائه وعظمته وجلاله، والتذلل لكمال عزه والخمول تحت قهره، بتسليم القياد إليه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا منازع له في حكمه، وهذا التعريف بمنزلة الألوهية له ظاهر وباطن، فالتعريف بظاهر الألوهية لأصحاب الحجاب من جميع الأكوان، فكلها تقر له بالألوهية وتعترف بأنهم عبيد مقهورون تحت حكمه، وهذا الأمر فيهم جبلة من أصل خلقتهم، وتواتر بذلك أولهم وآخرهم، وبذا تعرف إبطال قول من قال من العلماء بوجود التعليل في الخلق في معرفة الألوهية، وظنوا أن معرفة الألوهية يخاض فيها بالبراهين، وإن في الخلق من لا يعرف الإله وهو باطل فإن الرسل التي أرسلت إلى الخلق، ما بعثوا إليهم إلا بتوحيد

العبادة للإله، وخلع كل ما يعبدون من دونه فما كذبتهم الأمم إلا في صحة الرسالة من عند الله تعالى، وما جحدوا وجود الله تعالى ولا جحدوا ألوهيته، قال سبحانه وتعالى مخبراً عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] وقوله أيضاً في الإخبار عنهم في الأوثان ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله فما جحدوا وجود الإله ولا جحدوا ألوهيته، ولكنهم كذبوا الرسالة في الرسل بكون الله أرسلهم، وكذبوا في توحيد العبادة لله عزّ وجلّ سبحانه وتعالى في حق عاد وثمود، إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله، قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة، يريدون لو شاء ربنا الرسالة إلينا بتوحيد العبادة، لأنزل ملائكة، الآية وقول عاد لهود عليه الصلاة والسلام أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا الآية فأنت تسمع ما جحدوا وجود الإله وإنّما جحدوا توحيد العبادة، وتحقيق الرسالة منه سبحانه وتعالى في وصفهم حيث أمر نبيه ﷺ بسؤالهم قال: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤] سيقولون لله وقال: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦] سيقولون لله وقال: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨] سيقولون لله إلى غير ذلك فأنت ترى في هذه الآيات، أنهم ما جحدوا وجود الإله ولا جحدوه في مرتبة ألوهيته، وإنما عبدوها كما قال عنهم ليتقربوا بها إلى الله تعالى، فهذا هو التعريف بظاهر الألوهية، وأما التعريف بباطن الألوهية فهو للصديقين والعارفين خرقوا حجاب الظواهر وبلغوا من باطن الألوهية إلى رتبة حق اليقين، فما الكون عندهم كله، إلا صفات الله وأسماؤه حقيقة لا اعتقاداً فتجلى لهم سبحانه وتعالى بباطن أسمائه وصفاته، وأفاض عليهم أسرارها فاختطفوا عن دائرة البشرية، وصارت جميع حركاتهم وسكناتهم وجميع تقلباتهم وأحوالهم وأفعالهم وأقوالهم بالله محضاً، وحيث كانوا بالله كانوا في جميع أمورهم لله في الله عن الله موتى عن جميع ما سواه، فهذه هي غاية الصديقين في التعريف ليس لهم مطمع في الوصول إلى ما وراء هذه المرتبة، والتعريف للأقطاب والنبيين وتجلى عليهم بالسر المصون والغيب المكنون، الذي تنقطع الأعناق دون ذكره ويسمى في الوضع باطن باطن الألوهية، وأسرار هذا الباطن الثاني وعلومه ومنافعه لو تبدى منها لأكابر الصديقين مقدار هبثة لذابوا من هيبة الجلال، وصاروا محض العدم في أسرع من طرفة العين، وهذا الباطن الثاني للأقطاب والنبيين لا مطمع لغيرهم فيه ولو بلغوا، إلا أن الأقطاب في أسفل هذه الحضرة والنبيون في أعلاها ثم الباطن الرابع هي حضرته الخاصة به صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم لا مطمع للأقطاب والنبيين أن يشموا منها رائحة، ولو تبدى منها مقدار هبثة على أكابر الرسل لذابوا من هيبة الجلال وصاروا محض العدم في أقل من لمح البصر، **ثم الوحي** من الله لأصحاب هذه المراتب كل على قدر مرتبته من الوحي، فأما أصحاب المرتبة الأولى وهم جميع الأوقات، وهم أصحاب ظاهر الألوهية، وأما أصحاب باطن الألوهية هم الصديقون فوحيه إليهم أو إن كشف لهم أحوال الغيب جهاراً وأسمعهم سبحانه وتعالى لذة مساورته لهم، لتبدي حقائق تلك الأسرار لكن وإن بلغوا ما بلغوا من وحي الله إليهم تقصر رتبتهم عن مرتبة الأقطاب، كما أن الأقطاب وإن بلغوا ما بلغوا من وحي الله إليهم تقصر رتبتهم عن مراتب النبيين عليهم الصلاة والسلام، كما إن رتبة الرسل الأكابر وإن بلغت في الوحي ما بلغت تقصر رتبتهم عن رتبته صلّى الله عليه وآله وسلّم، فوحي الله إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم في مرتبته، لا يساويه فيها مخلوق، ولا يشم أحد رائحة وحيه في تلك المرتبة صلّى الله عليه وآله وسلّم، ثم إنه يسمع السر المصون صلّى الله عليه وآله وسلّم جهاراً، كما رأى بعيني رأسه صلّى الله عليه وآله وسلّم السر المصون جهاراً ثم الوحي من حيث ما هو هو تارة يكون بمجيء الملك، يخبره بقول الله تعالى وهذا هو القرآن وتارة يكون الوحي بسماع السر المصون وهو الرتبة العليا في الوحي، ولا مرتبة فوقها وتارة يكون الوحي باللقاء، واللقاء مرتبة مصونة عند أهلها لا تذكر إلا بتلقي الأمر الإلهي من الله عزّ وجلّ بلا واسطة، وتارة يكون الوحي باللقاء وهذا اللقاء هو المسمى بالنفث، وإليه يشير قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **«ألا وإنَّ رُوحَ القُدُس قد نفَثَ في رَوْعِي أنهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا الله وأَجْمِلُوا في الطَّلَبِ ولا يَحْمِلَنَّكُم اسْتِبْطَاءُ شَيءٍ أنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ الله فإنّ اللَّهَ لا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إلَّا بطَاعَتِهِ»** الحديث، وتارة يكون الوحي بالنيابة بحكم المرتبة، وهذه النيابة تذكروا ذواقها عزيز الوجود إلى هذه المرتبة في الوحي، تشير جميع الأحاديث القدسية مثل قوله ﷺ في صبيحة سماء نزلت: **«هَلْ تَدْرُونَ ماذا قال رَبُّكُمْ قَالُوا الله تعالى ورَسُولهُ أعْلَم قال: أصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي فَأَمَّا**

مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله ورَحْمَتِهِ فذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوَاكِبِ وأمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوءِ كذَا فذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بالكواكِبِ» ومثل قوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم مخبراً عن الله: **«أنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأنَا مَعَهُ إذَا ذَكَرَنِي»** الحديث والأحاديث القدسية كثيرة فهذه مرتبتها ثم من أقسام الوحي ما يكون من فيض المقام الذي تقتضيه المشاهدة، ومنه ما يكون بالإلقاء الذي هو الإلهام، ولا يعلم صاحبه من أين دخل عليه، وإلى هذا يشير قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣] ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥] فكل هذه حقائق لإلقاء بطريق الإلهام، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧] لكن هذا الفرد منه إلى موسى أوضح من الوجه الذي ذكرناه، لا يعرف إلا بالذوق، ومن هذا الإلهام قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] إلى غير ذلك، ومن الوحي أيضاً ما يكون بالظن في مراتب الأسماء والصفات وما تستحقه من الخواص، فيأخذ منها فيضاً إلهياً روحياً ربانياً يعلم به حكم الغيب وصريح الأمر الإلهي، ومن الوحي ما يكون بطريق الورود يرد عليه الوارد في حضرته من عند الله تعالى في منزلة الرسول، من عنده فيلقى إليه ما يلقى من التعريفات والأسرار والعلوم وكشف الغيوب وتحقيق الأمر، ومن الوحي ما يكون تلقيه بالنظر في قواعد الحكمة السارية في الوجود، بالنظر فيما تستحقه الصفات والأسماء من الخواص، فهذه هي مراتب الوحي، ثم الناس في هذا على قدر مراتبهم ودرجاتهم ثم لتعلم أن من تجلى الله له بالسر المصون والغيب المكنون عصم من المعاصي بكل وجه وبكل اعتبار، فلا تتأتى منه المعصية التي هي مخالفة أمر الله تعالى صريحاً أو ضمناً، وليس له فيها العصمة من مخالفة أمر الله تعالى، ولذا ثبتت العصمة للنبيين وفي ضمنها الأقطاب ولم يصرح بهم صلّى الله عليه وآله وسلّم في قوله حيث قال: **«لا عِصْمَةَ إلَّا لِنَبِيٍّ»** فقد ستر الأقطاب هناك من كونهم لا تعرف مراتبهم وما أخبر الله الخلق بها أعني بمرتبة الأقطاب، ولا وصل العلم إليهم بها فهي مكتومة، لذلك لم يصرح بعصمة أهلها صلّى الله عليه وآله وسلّم لكن السر المصون مانع لمن ذاقه أن يعصي الله تعالى حتى طرفة عين، وأما من عداهم من الصديقين الذين نزلوا عن رتبتهم فلا عصمة عندهم وتجري عليهم الأقدار كما تجري على غيرهم، كما قال الجنيد حيث قيل له أيزني العارف فأطرق ساعة ثم قال: وكان أمر الله قدراً مقدراً مقدوراً، ولتحقيق العصمة للنبيين عليهم الصلاة والسلام وعدم تأتي المخالفة منهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤] وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] إلى غير ذلك وأما في قضية آدم عليه الصلاة والسلام، فهي وإن كانت صورتها صورة المخالفة ظاهراً، فهي من أعظم الكرامة له باطناً وأوحى إليه فيها من كمال العلم والمعرفة بالله، وبما عليه الحضرة من الشؤون والاعتبارات، وبما عليه العبودية من الذل والمسكنة وإن علت رتبتها، فأما الكرامة فيها فإنه لما سعى إبليس لعنه الله في إيقاع آدم في الذنب ليطرد عن الله كما طرد، فأبلغ في ذلك غاية جهده فأوقعه الله تعالى في المخالفة ليعلم إبليس بشفوف رتبته عليه، كأنه يقول له سبحانه وتعالى بلسان الحال إن كنت تروم طرده عن جنابنا وتريد ذله بإبعادنا فهيهات. إنّما هو صفوتنا من جميع خليقتنا ولأجله أوجدنا العوالم كلها، ولولا هو ما خلقناها ولا لنا مراد في وجودها، فالعوالم كلها وإن ظهر في بعضها شرف عليها كالملائكة فإن الجميع خدام له، وإنّما هو جوهر الأكوان والكون كله صدف له وإن السر الذي أودعناه في حقيقته والكنز المكنوز الذي وضعناه في ضميره، لو عصانا بمعصية جميع العوالم ما طردناه ولا أبعدناه ولا أبغضناه، فإنما هو محبوبنا لذاتنا على أي حالة كان أطاع أم عصى فإنه وإن وقع منه ما وقع فلا عيب فيه ولنا في ذلك سر مصون ولأجل هذا قال: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧] ولأجل السر المصون المستكن في باطنه الذي فضله الله به على جميع العوالم، حيث وقع منه الذنب، وتناءت منه جميع أحوال الجنة حتى فر منه جميع ثيابه وطارت عنه، ورأى إحاطة البلاء به، فما زاغ عن موقف العبودية بل رجع بالذل والاستكانة إلى عظمة الربوبية وتصاغر لجلال الله واعترف بنقص نفسه، فخاطب ربه سبحانه وتعالى معترفاً بنقصه بقوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]. ولم يكن مثل عدو الله إبليس حيث لم يكن له السر المصون لما طرده ربه من جنابه، وحكم عليه بلعنه وإبعاده فما ذل ولا استكان لجلال الله وعظمته، بل رجع اللعين معظماً لنفسه غضبان على ربه وأظهر كفره بالله تعالى، حيث قال مغاضباً لربه فبعزتك لأغوينهم أجمعين، وقال أيضاً: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] وهذا غاية الكفر بالله

تعالى فما في جميع العالم كلها من خاطب الله تعالى بهذا الخطاب، ولا تجاسر عليه أحد بمثل هذا العتاب، وبروز ذلك مما جعله الله تعالى في حقيقته، حيث جعله جل جلاله مظهر الشر والخذلان والطرد واللعن والحرمان، وجعله إماماً متبعاً لكل من طرده الله عن بابه وأبعده عن قربه وجنابه، فكان جوابه ما ذكره الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٨] فهذا وجه الكرامة في وقوع ما وقع من آدم عليه الصلاة والسلام، وأما التعريف بقضيته، فالتعريف الأول في قضيته جعله الله قدوة لذريته، عرفهم فيها أن من زلت قدمه في مخالفة أمر ربه ثم رجع تائباً مقراً بذنبه وجد العفو والقبول من ربه من حينه، والتعريف الثاني أن المحبوب في الحضرة الإلهية، وإن كان مقرباً مصاناً فلا بد له أن ينصب عليه من حضرة الله عزّ وجلّ ابتلاء والتواء، تضطرب منه جميع جوارحه وتتألم بسببه جميع ظاهره وباطنه، ليخبره بذلك أن الحضرة الإلهية لا بد لها من هذا فإن المحبوب، لو لم يجد من ربه إلا ما يلائم أغراضه، لكانت دعواه في محبة ربه غير صادقة، لأنه بملائمة أغراضه يحبه، فما يظهر مصداق المحبة حتى ينصب عليه البلاء العظيم، ثم لا يزيغ باطنه من موقف المحبة قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله:

ولو قطعتني في الحب إرباً ... لما حن الفؤاد إلى سواك

فإن بالبلاء صدق المحبة، فإنه روي عن سري السقطي رضي الله عنه أنه دخل عليه بعض الرجال يوماً قال: وجدته يبكي فقلت ما يبكيك فقال: كنت نائماً الساعة فرأيت نفسي بين يدي الحق سبحانه وتعالى فقال لي يا سري أو كما قال له: خلقت الخلق كلهم فادعوا محبتي، فخلقت الدنيا بزينتها وزخارفها ففروا إليها كلهم، ولم يبق إلا العشر فلما بقي ذلك العشر خلقت لهم الجنة فلما نظروا إلى زينتها وزخارفها فروا إليها كلهم ولم يبق إلا العشر، فلما بقي ذلك العشر سلطت عليهم ذرة من البلاء، ففروا كلهم ولم يبق إلا العشر فقلت لذلك العشر الباقي، لا الدنيا أردتم ولا الجنة اخترتم ولا من البلاء فررتم فماذا تريدون؟ فقالوا أنت أعلم ما نريد فقلت لهم: إني مسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم فهل أنتم صابرون؟ فقالوا: إذا كنت أنت المبتلي فاصنع ما تريد، فقلت: أنتم عبادي حقاً فهكذا هو الابتلاء في موقف المحبة، ولا يعرف صدقها إلا بالثبوت للبلايا قال بعض الأكابر لبعض الأولياء وقد شكى إليه الولي شدة ضيقه وكربه من محبة الله فقال: ضاقت عليَّ الدنيا ولم نجد للموت سبيلاً أو كما قال له: فقال له ذلك الكبير، أو ذقت محبة الله تعالى؟ قال له: نعم فقال له: هل نزل بلاء لا تطيقه الجبال فما تمنيت بقلبك أو تنفض عنك منه ذرة؟ قال: لا. قال: لا تطمع نفسك بالمحبة فما شممت لها رائحة. فهذا التعريف بصدق المحبة في الحضرة، والتعريف الثالث أن لا أمان من مكر الله تعالى، وإن بلغ العبد من الله ما بلغ في الاصطفاء والاجتباء، فلا أمان عنده من مكر الله تعالى كما في قضية آدم، وقد كان حين وقع به ما وقع من البلاء، حين أنزله الله من الجنة بكى على فراقها مائة عام في كرب وحزن وشدة وألم، حتى شكت الملائكة من ريح كبده، وقالوا ما حل بهذا المسكين بعد أن أمرهم الله تعالى بالسجود له، فهذه فوائد قضية آدم فظاهرها ذنب ومخالفة، وباطنها من العلم بالله تعالى والعلم بأمره أمر عظيم.

ثم اعلم أن سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام، أعطاه الله من القوة الإلهية أمر لا يحاط بساحله، وبتلك القوة حمل أعباء النبوة والخلافة، فله القوة من المحلين وهما روحه وجسمه فأما روحه فاكتسبت القوة من موضعين، الموضع الأول: حيث خلقها الله من صفاء النور الإلهي، وأودع فيها جميع أسمائه وصفاته وأسرار جميع أسمائه وصفاته، وأنوار جميع أسمائه وصفاته، فهذه هي القوة الأولى لها، والموضع الثاني من قوتها: من قوله سبحانه وتعالى للملائكة: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] وهذا النفخ أُعطِي فيه أيضاً كمال القوة الإلهية، وأما جسده الشريف فاكتسب القوة أيضاً من موضعين الموضع الأول: من التراب ثم إن التراب سمع كلام الباري جل جلاله وعز كماله حيث قال للسموات والأرض ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] والموضع الثاني: من الماء ثم أن الماء سمع كلام الباري جل جلاله وعز كماله، وذلك حين أراد خلق السموات والأرض، أمر الله الماء فاضطربت أمواجه ألف حقب في كل حقب ألف قرن، في كل قرن ألف سنة في كل سنة ألف شهر في كل شهر ألف يوم في كل يوم ألف ساعة كل ساعة مثل عمر الدنيا سبعين ألف مرة، ثم اجتمع من اضطرابه في هذه المدة كوم من الزبد فوق الماء فكان مجموعاً في موضع الكعبة اليوم، ثم مد سبحانه وتعالى ذلك الزبد على وجه الماء وقلبه تراباً وهو الدحو الذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠] أي بسطها على وجه الماء، وأثار سبحانه وتعالى من الزبد دخاناً فكون منه السموات، فبسماع كلام الله تعالى للماء اكتسب هذه القوة الإلهية،

ودام اضطرابه في المدة المذكورة، فما ضعف وما كلّ وما سئم فهاتان القوتان تركب منهما جسم آدم، فكانت له أربع قوات إلهية اثنان في روحه واثنان في جسده، وبهذه القوة اكتسب عليه الصلاة والسلام الكمالات الإلهية، فحفظ آداب الحضرة الإلهية وقوي على حمل أعبائها في موطن النبوة وفي موطن الخلافة، ولما كانت له هذه الكمالات الإلهية فحين ما وقع منه ما يوجب النفور والطرد والبعد لأمثاله، رجع عاكفاً على باب مولاه متذللاً متصاغر الجلال لله وعظمته وكبريائه، ولما حفظ هذه الآداب عليه الصلاة والسلام، خرجوا به من الحضرة الإلهية: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ الآية، لكونه أعطى الكمالات الإلهية من جهة جسده ومن جهة روحه، وبسبب ذلك علمه الأسماء كلها يعني أسماء الكائنات التي يتوقف عليها الكون، وأسجد له ملائكته وأعطاه الخصوصية التي لم يعطها لغيره من سائر الأكوان، بقوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ اخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ» إلى قوله في الحديث: «ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ثُمَّ اخْتَارَنِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» الحديث، واللعين وإن كان من أعبد العابدين، ضيع آداب الحضرة الإلهية، وشغله عنها تعظيم نفسه حيث كان جوابه لما قال مولاه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، أجاب اللعين بقوله معظماً لنفسه ناسياً للأدب مع ربه: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، فخرجوا به من الحضرة الإلهية، قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين، إذ كل منهما صار بسيرة أصله، فآدم عليه الصلاة والسلام أصله الطين وهو الماء والتراب، اختص من الله تعالى بأخلاق الكريم، حيث ترى عليه شدة الإذابة من الخلق، بما يقذفون عليه من النجاسات، وبما يوقعون عليه من الفجور وسوء الأدب مع الله تعالى بالتعظيم لأنفسهم والاستكبار، وكان مقتضى ذلك من الحكمة أن يرميهم عن ظهره سخطاً لجرأتهم على الله تعالى، أو يخسف بهم الأرض أو تهتز بهم هزة تهلكهم عن آخرهم، فلا يقع منه شيء في ذلك، بل ينبت لهم الأرزاق العظيمة والنعم الجسيمة والخيرات الوافرة والمواهب المتواترة، التي لا يقدر أحد على إحصائها، ولم يقابلهم بأفعالهم وتلك صفة الكرم، وأما الماء فإنه حياة العالم، وبه أصل وجوده، إذ الموجودات التي في هذا العالم السفلي كلها تكونت من الماء، وبه أمدت حياتها، فكان كل شيء منها حياً بالماء، وبه تقوم الخيرات التي في التراب، لأن الماء والتراب من أثر الرحمة الإلهية بما ذكر فيها، وأما النار التي هي أصل اللعين قد جعلها سبحانه وتعالى سهم غضبه، وتجلى فيها بصورة قهره وانتقامه وشدة بطشه، فلا ينتفع بها موجود إلا في أقل قليل كالطبخ، فإن فيها جزءاً يسيراً من الرحمة وهو قليل جداً بالنسبة لما فيها من الهلاك، فكان نظرها إلى قوتها معظمة لنفسها، ولذلك حين يخاطبها سبحانه وتعالى في آخر يوم القيامة بقوله لها: هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيد فنسيت الأدب ورجعت إلى طلب الإهلاك للخلق بقولها: هل من مزيد تريد إهلاك الخلق، فكان جوابها في الحديث لا تزال تقول هل من مزيد هل من مزيد، حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط واستعار لفظ القدم لهذا التجلي، لكونه آخر تجلي يتجلى فيه سبحانه وتعالى بسطوة جبروته وقهره، ولم يبق بعده إلا الرحمة المحضة، فإن النار حينئذٍ تذل وتخضع حيث قابلها بسطوة الجلال، ووراء هذا من العلم ما لا يحل كشفه إذ هو من العلم المكتوم الذي لا يتأتى كشفه لمن علمه، ولما كان اللعين أصله خلق من هذه البنية وهي النار، حيث كانت مسلوبة من الرحمة الإلهية إلا ذلك النزر القليل فيها، كذلك هذا اللعين سلبه أحكام الأدب مع الله تعالى فرجع لتعظيم نفسه كما هو أصله وهو النار، فكان جوابه كما خرج جواب النار بقوله له: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [ص: ٧٧] الآية كذلك فيه نزر قليل من أثر الرحمة الإلهية كما في أصله، حيث يحمل الناس على الرجوع إلى باب الله تعالى بالتضرع والاستكانة بين يديه سبحانه وتعالى، فإن العقلاء وأرباب البصائر كلّما أحسوا بشيء من شره ووسوسته، فزعوا إلى الله تعالى بالتضرع والابتهال والاستعاذة بالله من شره، وهذا أمر عظيم في الخير، لأن الوقوف بباب الله تعالى من أعظم الخيرات، وكان السبب في ذلك هو اللعين حيث ساقهم إلى باب الله تعالى من وجه لا يريده، كذلك النار ما انتفع بها الخلق من الطبخ والاصطلاء إلا من وجه لا تريده، لأن مرادها في اشتعالها الإهلاك فهيأ سبحانه وتعالى سبباً لانتفاع الخلق بها، وهو الاصطلاء والطبخ، فهذا الجزء فيها من أثر الرحمة وهو يسير جداً فظهر حينئذٍ ذلّه وإهانته ولم يبق له تعظيم، فكان تجليه بسطوة جبروته وقهره كما وقع بأصله وهو النار.

فإن قلت: إنّكم قلتم إن الماء والتراب اكتسبا القوة الإلهية من سماع كلام الباري لهما، وكذا اللعين والنار سمعا كلام الباري جل جلاله فلم لم تكن لهما قوة؟ **قلنا:** الجواب أن الباري كلم الماء والتراب كلام تعظيم ومحبة وتكريم، حيث أقامهما في خدمته على طريق محبة المخدوم للخادم، لأنهما سمعا كلام الباري بالأمر لهما بالخدمة

فأجابا وأطاعا، وأما اللعين والنار فإنّهما كلمهما كلام كراهية وإهانة فإنه استفهمهما فقط، وما أمرهما حتى يكون لهما شرف الخدمة، واستفهامه لم يعطهما فيه قوة ولا أدباً، فكان جوابهما ما سمعته فيهما، وهذه القوة التي ذكرت في آدم أعطي تحمل أعباء النبوة والخلافة، فإذا عرفت هذا عرفت أنه لا حظ للنساء في النبوة والخلافة، لضعفهن عن حمل أعباء الحضرة الإلهية، لأن جسد الأنثى تكون من ضلع آدم فقط، وفيها اعوجاج ولم يكن من الأصل الذي هو الماء والتراب، لأنهما من الماء والتراب بالواسطة لا بالأصل، ففقدت القوة وروحها إنّما خلقت لأجل آدم لا غير، للتأنيس والإعانة، وما منحها قوة تحمل أعباء الحضرة الإلهية، وبها تعرف إبطال قول من قال بنبوة مريم وأم موسى.

فإن قلت: إذا كان هكذا فكيف نبئ عيسى عليه الصلاة والسلام، وهو إنما خلق من ماء الأنثى فقط، فكيف تحمل أعباء الحضرة الإلهية.

قلنا: إنه تكملت فيه قوة الذكورية بنفخ الروح الأمين في فرج أمه، وذلك النفخ نيابة عن الله تعالى حيث كان بأمر إلهي لم يكن فيه اختيار للروح، ففي ذلك النفخ سرت له كمالات القوة الإلهية، كما سرت لآدم عليه الصلاة والسلام، ولهذا الأمر وقع التمثيل بينهما في الآية بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] ولأجل القوة الإلهية التي أودعها في جميع الذكور، فلذلك كانت لجميع الذكور قوة على تحمل أعباء الحضرة الإلهية، ومقاساة الشدائد ومعاناة الأمور الصعاب والصبر وتحمل البلايا في إدراك المطالب والمراتب ومقاساة الشدائد أيضاً في تحمل مؤنة النفقات على من تحت حكمهم من النساء والصبيان، ومن ذلك أيضاً ترتيب المملكة في الأرض، وتحمل أعبائها وثقل مؤنتها وملاقاة البأساء والقتل وتحرك المرارات إلى غير ذلك، مما لا قدرة للنساء عليه، فما في الوجود كله إلا الحضرة الإلهية في ظاهر الكون وباطنه، فالكون كله حضرة الحق وأعباء الحضرة الإلهية ما ذكرناه مِنْ مقاساة الرجال له مع دوام صبرهم على ذلك، وعدم السآمة إلى أن ينزل الموت بأحدهم والنساء في غاية العجز عن مقاساة هذه الأمور، ولذلك نرى الرجال صامتين ساكتين مع قذفهم في بحور الأخطار، لا يصيحون ولا يئنون ولا يتكلمون بشيء، والنساء ترى منهن لأقل قليل من الهم ثوران البكاء والصياح والجزع، فقد عرفت الفرق بينهما ولذا قال آدم عليه الصلاة والسلام، لما أخبر حواء بموت ولده هابيل حين قتله قابيل قال لها: مات هابيل قالت له: ما معنى مات قال لها: لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك أو كما قال لها فصاحت حينئذٍ صياحاً شديداً لحر المصيبة، لما لم تكن لها قوة على تحملها قال لها عليه الصلاة والسلام: عليك وعلى بناتك وأنا وأولادي منه براء، لما علم في الذكورية والأنوثية ما ذكرنا من وجود القوة وفقدها، فإنه علم موت هابيل قبلها فما جزع ولا صاح ولا اضطرب فظهرت قوة الذكورية على الأنوثية.

فإن قيل ما ذكرته من القوة في الذكورية، لا يصح لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤] وقوله: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: ٦٦] **قلنا:** الجواب عن هذا اعلم أن ما ذكره الله تعالى من الضعف لا ينافي القوة، ثم إن الضعف الذي ذكره الله تعالى إنما طرأ على الجسد الذي هو ظاهر الإنسان فقط، فما ذكر الله سبحانه وتعالى في خلق الإنسان إلا جسده فقط، وما ذكر خلق روحه إلا رمز لها بقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الإنسان: ٢] والمراد بذلك جسده لا روحه، وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢] المراد به الجسد، وقوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الحج: ٥] كل ذلك يراد به الجسد، فإنه وإن كانت له قوة الماء والتراب فليسا دائمين لأنهما يتهدمان يوم القيامة فقوتهما ليست دائمة، كذلك جسد الإنسان قوته التي هي من الماء والتراب ليست دائمة، ولذا نرى جسد الإنسان يتلاشى في حياته، وينتقل في الأطوار والتغيرات من الصبا إلى الطفولية إلى الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة إلى أرذل العمر نعوذ بالله من ذلك، فإن قوته ليست دائمة كما كانت قوة الماء والتراب، وأما روحه فإنها من صفاء صفوة النور الإلهي، الذي هو خالص الحضرة الإلهية فلها من القوة ما لا غاية له فلذا بقيت للأبد لا يدركها الفناء، **فإن قلت:** إذا كان حد الأنوثية في الضعف على ما ذكرتم، فكيف يصح لسيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها أن تتحمل قوة أعباء الخلافة الإلهية، **قلنا:** الجواب في هذا اعلم أن في روحها قوة ليست كقوة النساء، ثم أن جسدها رضي الله عنها تكون عن استمداد الجنة، والجنة كلها في غاية القوة، لأنها دار التجلي للحق سبحانه وتعالى، فقواها جل جلاله بقوته الكاملة، فكل شيء منها

هو في غاية القوة والمتانة والثبوت للتجليات الإلهية، وكان جسدها رضي الله عنها من هناك، لأن نطفتها تكونت عن تفاحة من الجنة، فاستمدت بذلك من القوة الإلهية في روحها وجسدها، ما ليس للنساء فيه نصيب، فبذلك تحملت أعباء الخلافة الإلهية، وقد بسطنا الكلام على ذلك في أجوبتنا فمن أراده فليطالعه والسلام، وأما نبوة سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام تؤخذ من مضمن الآيات لا من ظاهرها ومما روي عنه ﷺ في الحديث أنه قال: **«إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَزَلَتْ عَلَيْهِ صَحِيفَةُ الحُرُوفِ وَفِيهَا تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ حَرْفاً قَالَ لَهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: إِنَّهَا ثَمَانِيَةٌ وعِشْرُون، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: بل تِسْعَةٌ وعِشْرُونَ قَالَ الصَّحابِيُّ، بِلَام الأَلِف قال لهُ: نَعَمْ»** والدليل على نبوته أيضاً يؤخذ من لفظ الخلافة، لأن من استخلفه الحق لا بد أن يكون فيه معنى ما من مستخلفه، وهو هنا احتواؤه على جميع الأسماء الكونية الإلهية، التي بها نظام الكون وقوامه ما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ وعلمه بهذه الأسماء فرع عن الصديقية، ولكن الفرع هنا أعلى من المتفرع عنه، والصديقية لا تكون إلا عن أحكام التكليف وأدبه، وإن كان العقل يجوزها بدونه، ولكن الحكمة الظاهرة لا تكون الصديقية إلا عن التكليف، والأحكام التكليفية لا تكون ناشئة إلا عن أخبار نبوة، وأخبار النبوة لا تكون إلا من الله لبعض أنبيائه، أو من نبي لبعض أتباعه، وسيدنا آدم ثبت له جميع ما ذكر من الخلافة والصديقية، وليس قبله نبي فثبت أنه نبي عليه الصلاة والسلام، وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ [البقرة: ٣٨] بعد قوله: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ [البقرة: ٣٧] فإن الهداية لا تكون إلّا من الله لمن أراد أن يكون هادياً مهدياً وهذا لا يكون إلا نبياً أو وارث نبي، وسيدنا آدم لم يرث نبياً فثبت أنه نبي عليه الصلاة والسلام.

ثم نرجع إلى تتميم الكلام على أقسام الوحي وتفصيله، فأقول اعلم أن بالنظر في أقسام الوحي وتمامه يعرف كمال اجتهاد النبيين عليهم الصلاة والسلام، في طلبهم الحق والصواب في الحكم بأمر الله، فإنهم لا يفارقون أقسام الوحي التي ذكرناها ومن كان كذلك كان حكمه هو حكم الله تعالى في باطن الأمر، لكونه أخذ الحكم عن الله أينما أخذه من أقسام الوحي، لأن الخطأ في الحكم لا يتأتى إلا بممازجة الطباع البشرية لنور العقل، وتخبطه في بعض دواعي الهوى ووقوعه في شيء من بنيات الطريق التي ذكرها ﷺ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال: **«لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾»** قال: خط ﷺ خطاً مستقيماً وقال: **«هذا هو الصراط المستقيم ثم خط حوله خطوطاً صغاراً رقاقاً، أو كما قال: وقال هذه السبل التي نهى الله عنها وهي حوله ذلك الخط»** وتسمى في اللغة بنيات الطريق فإنها طرق لكنها خفية وقد قال ﷺ: **«عَلَى كُلِّ طَرِيقٍ مِنْها شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهَا فَمَنْ تَخَلَّصَ مِنْهَا عَرَفَ حُكْمَ الله تَعَالَى فِي التَّوَازِلِ بِتَأْيِيدِ إِلهِي ونُورٍ رَبَّانِي»** قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] وهذا الفرقان الذي ذكره الله تعالى هو نور يمد به من أحبه من خلقه، فيظهر لهم بذلك النور صورة الحق والباطل، وأصحاب هذا إذا أدركتهم العناية الإلهية، مهما نظر في نازلة بحكم الله تعالى تبدله في الباطن، كسوتها بأنوار عظيمة المقدار فيعلم من ذلك النور أن تلك المسألة واجبة، وإن ظهر لباس النور عليها ضعيفاً علم أنها مستحبة مندوبة، وإن رأى عليها ظلاماً متراكماً علم أنها محرمة، وإن رأى عليها ظلاماً خفيفاً علم أنها مكروهة، وإن لم ير عليها لا أنوار ولا ظلمة علم أنها مباحة، وهذا لأرباب الكشف بالغيب لا مطمع فيه لغيرهم فإذا عرفت هذا عرفت أن اجتهاده ﷺ في الأمور ليس كاجتهاد غيره ﷺ حيثما أخذ الحكم والأمر من أي أقسام الوحي كان من الأقسام التي ذكرناها، كان آخذاً الحكم عن الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﷺ، فكيف ما حكم ﷺ كان هو حكم الله تعالى، لا يتطرق إليه الغلط ولا السهو ولا الضلال بوجه من الوجوه أصلاً، ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤] فكل أحكامه ﷺ وجميع تصرفاته كلها بطريق الوحي ليس فيه شيء من مخامرة الهوى ومن طباع البشرية التي تخرج عن الحق، وكذا غيره من جميع النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، على هذا المهيع، ثم اعلم أنه ﷺ حيث عمل خلوصه إلى أوطان القرب والتمكين من حضرة الله تعالى، التي لا مطمع فيها لغيره، أنه قائم فيها بتكميل الأدب وتكميل وظائف الخدمة في كل ما برز عن الحضرة من الأسرار والتوقعات والتجليات، في ظاهر العالم وباطنه وباطن الحضرة الإلهية فلا يفتر عن ذلك مقدار طرفة عين، ولا يقع منه التفريط في تكميل حق من حقوق التجليات كل ما برز من التجليات على غاية كثرتها وعدم نهايتها، يعطيها حقها من العبودية من غير إخلال ولا ضعف ولا تزحزح عن موقف الكمال، فإن أطوار الوجود بكل ما تطورت، من خير أو دفع أو جلب أو عطاء أو منع أو تحريك أو تمكين أو تلوين، إلى سائر

أقسام التطورات مما يعرفه العامة في ظواهر الوجود، وما يتطور في بواطن الوجود، من الإفرادات والتخيلات والتوهمات والخواطر والأفكار، كل ذلك تجليات الحق سبحانه وتعالى بآثار صفاته وأسمائه ما ثم غيره سبحانه وتعالى في كل ما سمعت وهو ﷺ في موقف كماله دائماً أبداً سرمداً، يعطي جميع التجليات حقها ويوفي آدابها، وهو في كل ذلك لله وبالله ولذا برأه الله من الهوى بقوله جل علاه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤] وليس من الوحي عند أرباب الظواهر إلا مجيء الملك من عند الله بالخبر للنبيين عليهم الصلاة والسلام، ما يعلمون من الوحي غير هذا، فلذلك تخبطوا في معاني الآية تخبيطاً كبيراً لم يقعوا منه على تحقيق، وإنما الأمر الذي يكون فيه ﷺ بوحي يوحى إنّما هو ما ذكرناه من أقسام الوحي فإن من كان موقعه مع الله تعالى في الحضرة بالكمال الذي ذكرناه له ﷺ، طهره الله بسبب ذلك من ما يوجب له نقصاً أو شيئاً أو لوماً أو إبعاداً أو ذماً، فبكمال طهارته ﷺ كان لا يتكلم إلا بوحي عن الله تعالى، عن كونه يأخذ من أقسام الوحي التي ذكرناها وليس وحي الله تعالى في التحقيق لمن أوحى إليه، إلا إعلامه بأمره لمن أوحى إليه بأن الأمر كيت وكيت مما هو مراد الله تعالى، فهذا هو الوحي ويكون صاحبه لا خروج له عن أمر الله ثم إنه تورد علينا هنا اعتراضات ممن لا علم له بحقيقة الأمر.

الاعتراض الأول: هو أن يقول المعارض: إذا كان كل شيء منه وحي، فما بال القضية التي بعث فيها ﷺ خبيباً وأصحابه مع الطائفة الذين أظهروا الإسلام، وطلبوا منه أن يبعث معهم من يفقههم في الدين، فبعث معهم ﷺ خبيباً وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح في رجال معهم، فلما بلغوا أرضهم أظهروا كفرهم وقتلوهم إلا خبيباً فإنهم باعوه لقريش فقتلته قريش، فلو كانت القضية عن وحي ما بلغت هذا المبلغ **قلنا**: الجواب عن هذا الاعتراض اعلم أنه ﷺ عمل في ذلك بقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] فكان عمله ﷺ فيها بهذا الوحي، وكونه لم يعلم عاقبة الأمر ولا عرفه الله بصرف البلاء عنه في هذه القضية الذي أصاب أصحابه، فإن الله عزّ وجلّ ليس عليه أن يخبر خلقه إذا كلفهم بأمر بجميع ما يلاقون من البلايا، وإنّما كلفهم ليوفوا بأمره وإن كانت عاقبتهم فيها الهلاك الدنيوي، فلا لوم عليه في ذلك لأنه كلف عباده بتوفية أمره ليكمل ثوابهم في الدار الآخرة، ويصرف عنهم عذابه في الدار الآخرة، وأما بلاء الدنيا فما أخبرهم في تكليفه بأنهم لا يصيبهم بلاء في توفية أمره، وهو سبحانه وتعالى لا يسئل عما يفعل ألا ترى كيف أرسل رسله للخلق، وفي الرسل من كانت عاقبته أن قتلته أمته، فليس للرسول أن يلوم ربه في هذا بقوله معاتباً كيف ترسلني إليهم وقد علمت أنهم يقتلونني، فلو علمت بهذا ما ذهبت إليهم فليس له أن يعاتب الله بهذا العتاب، ولكنه بلاه لحقه في تأدية التكليف، فثوابه واقع على الله تعالى وليس له أن يخاصم ربه فهذا جواب هذه القضية.

والاعتراض الثاني: هو أن يقول المعارض مثلاً: كيف تصنع في قضيته ﷺ، حيث بعث أصحاب بئر معونة مبلغين إلى أهل نجد رسالته وأحكامه، ويدعونهم إلى الإسلام وكان الذي أثاره على ذلك أبو براء العامري حيث قال له: أنا جار لهم إذ كان قال له ﷺ: يا محمد لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد، يدعونهم إلى دينهم لرجوت أن يستجيبوا لك قال له ﷺ: إني أخاف عليهم من أهل نجد، قال له أنا لهم جار والجار هو المانع فبعثهم فقتلوا عن آخرهم قتلهم أهل نجد، إلا عمرو بن أمية الضمري كان أعتقه عدو الله عامر بن الطفيل، وقد كان أراد قتله ظن أنه من الأنصار، فقال له عمرو رضي الله تعالى عنه: لست من الأنصار وإنما أنا من مضر، فقال له عدو الله كان نذر على أمه أن تعتق رقبة من ولد إسماعيل فحيث أنت من مضر أنت هو، فأعتقه في نذر أمه فما نجى من أولئك الرهط غيره فلما بلغ إلى رسول الله ﷺ أخبره بمقتل أصحابه، قال ﷺ: «**هٰذَا عَمَلُ أَبِي بَرَاءٍ لِي قَدْ كُنْتُ لبعثِهم كَارِهاً**» وقد توجع باطنه لذلك ﷺ، يقول المعارض لو كان هذا عن وحي ما حل بهم هذا الأمر ولا قال كنت لبعثهم كارهاً.

والجواب عن هذا الاعتراض: اعلم أن أذواق العارفين في ذوات الوجود، أنهم يرون أعيان الموجودات كسراب بقيعه الآية فما في ذوات الوجود كله إلا الله سبحانه وتعالى تجلى بصورها وأسمائها، وما ثم إلا أسماؤه وصفاته فظاهر الوجود صور الموجودات، صورها وأسماؤها ظاهرة بصورة الغير والغيرية، وهو مقام أصحاب الحجاب الذين حجبوا بظاهر الموجودات عن مطالعة الحق فيها، وإنما مرتبة الصديقين الكون عندهم معتقد فقط، والظاهر المحض إنما هو وجود الحق وحده في كل شيء، فإذا رأيت ما يظهر من صور الموجودات على اختلاف أحواله وتباين أشكاله وتشتيت أموره من مذمومه ومحموده، فما فيها إلا تجليات الحق سبحانه وتعالى بشؤونه قال

جل جلاله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] وتلك الشؤون في الموجودات هي تجلياته فيها سبحانه وتعالى بضروب أموره واختلاف شؤونه، فيقول المعارض مثلاً: إذا كان هذا أمر الصديقين فكيف يتعقل أن هذا عدو له يحمده له وهذا يحمده وهذا يذمه وهذا يفيض عليه بالخيرات وهذا يترصد له الهلاك والشرور، والحق واحد سبحانه وتعالى لا يتبدل ولا يتعدد، فكيف يكون هذا في الصديق وهو يرى اختلاف أحوال الأكوان. **الجواب**: اعلم أن الصديق بل كان صديق من العلم القطعي من عند الله بطريق الوحي التحقيقي بما أفاض عليه من العلوم وعرفه من حقائقها كأنه يقول سبحانه وتعالى، أنا الواحد الحق الذي لا شيء غيري وأتجلّى في كل مرتبة بما أشاء من الشؤون سواء طابقت الأغراض أو خالفتها، فكأنه يقول لكل صديق أن تجلياتي في فلان لك، لا أعطيك منه إلا صورة المحبة وإفاضة الخيرات منه، وآثرتك منه على نفسه وكذا في بني فلان ولا أتجلى لك فيهم إلا بصورة المحبة والنعمة وبذل الخيرات، وكذا في بلد كذا لا أتجلى لك فيهم إلا بصورة المحبة والتعظيم والإجلال، وما ثم غيري إنما هم صور لا شيء فيها فاحمدني واشكرني على ذلك وإن فلاناً مثلاً لا أتجلى لك فيه إلا تلك الصورة إلا شراً ولا ترى مني فيها إلا شراً وكذا في بني فلان لا ترى مني فيهم إلا شراً وهلاكاً وضرراً، وكذا في بلد كذا لا ترى مني فيها إلا ذلاً وإهانة وانخفاضاً واستكانة، ولا ترى مني فيهم ما تحب أصلاً فخف مني واحذرني في جميعهم ولا تأمن مكري فيهم، وكن شديد الاحتراز مني فيهم فما ثم غيري في جميعهم فأنا المتجلي فيهم بشؤوني، فإنّك إن أمنت مني فيهم أهلكتك وسلم لي تدبيري في ملكي وسلم تصريف مشيتي، فإنّما أنت عبد مقهور تحت حكمي وإرادتي، ولو بلغت من الشرف عندي إلى الذروة العليا، فإنّما أنت عبدي ولا خروج لك عن العبودية كما أني أنا الإله الكامل الذي لا يقدر على مناقشتي أحد في مرتبة الألوهية، وليس لك أيها الصديق أن تقول أنا لك محب ولأمرك مطيع، فكيف تفعل بي شراً في صور الموجودات، ليس لك ذلك أنا الإله أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد رضي العبيد أم سخطوا، وليس لكم معشر العبيد إلا الرضا والتسليم، ولا سبيل لكم أن تحجروا تجلياتي في خلقي فتجعلوها جارية على أغراضكم، فهذا مشهد الصديقين فإنهم في كل ما يرون من الوجود، لم يروا على البديهة إلا الحق سبحانه وتعالى، فعل ذلك وتجلى به، فهم يأخذون العلم عن الله تعالى في كل مرتبة من الوجود ظاهراً أو باطناً، فإذا عرفت أن هذا مشرب الصديقين فاعلم أنه ﷺ كان غريق هذا البحر، وما حصل للنبيين والصديقين إلا نقطة من هذا البحر، فاعلم أنه كان في مظهر أبي براء العامري حيث خوطب بالخطاب الظاهر الذي هو روح الأمر بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ فهو يبلغ وحيث عرض عليه أبو براء يبعث أصحابه إلى أهل نجد ليؤمنوا به قال إني أخشى عليهم من أهل نجد فإنه ما تعقل ﷺ في ذلك الوقت من الله إلا محض تجليه عليه بالشر فيهم فلذلك قال ﷺ: أخشى عليهم من أهل نجد فإنه كما قدمنا في حق الصديق أن العلم القطعي عنده من الله أن أهل نجد لا أتجلى عليك فيهم إلا بالشر فخفني فيهم واحذر مني فيهم ولا تأمن مكري فيهم فلما خاطبه أبو براء قال له أنا لهم جار والجار قلنا هو المانع وأبو براء مرتبة من مراتب الحق وسمع خطاب الحق، وفيهم أنا لهم جار بعد أن أعلمه الله أنه لا يفعل معه إلا شراً فيهم، فوثق بقول أبي براء ووثوقه به من حسن ظنه بالله، ظن أن ذلك القول يحميه مما خوفه الله منه، أولاً فإنه أولاً امتنع من بعثهم مما عنده من العلم بالله أنه لا يتجلى له فيهم إلا بصورة الشر، فلهذا العلم المقرر عنده قال في آخر الأمر: كنت لبعثهم كارهاً وكراهيته ﷺ لأجل هذا العلم، فلما سمع قول أبي براء وما هو إلا خطاب الله تعالى فيه وهو صريح الوحي الذي هو قذف العلم من عند الله، إلى بصيرة الصديق في صور المراتب، فإذا أحسن الظن بالله بما سمع من أبي براء، وظن أن ما خوفه منه أولاً ستطفأ ناره ويعقبه الخير، فما تمكن ما ظنه وأوقع الأمر على ما خوف منه أولاً ورد الذم إلى أبي براء ظاهراً، ولم يرده إلى الله قياماً بحق الأدب ومراعاة لباطن العلم الإلهي من حيث أنه، ما ثم إلا الله وكان الوحي في ذلك ما ذكرنا ففعل الأمر في ذلك من بعثهم بوحي يوحى، حيث أخذ العلم عن الله في مرتبة أبي براء وظن أن ما خوف منه أولاً لا يقع فما خرج عن الوحي انتهى.

وكذا يقول المعارض أيضاً في قضية غنيمة بدر حيث ابتدروها، ولم يتقدم لهم وحي إلهي في تحليلها فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨] فلو كان أخذ الغنيمة عن وحي إلهي ما وقع هذا **الجواب**: اعلم أنه ﷺ أخذ العلم عن الله اعتقاداً لا تصريحاً، حيث أمره بجهاد المشركين وتضييق الأمر عليهم، فظن أنه يبيح له أموالهم لأنه إن لم يقاتلهم لأخذ أموالهم لم يتأت له القتال، لأنه يحتاج في القتال إلى

السيف والسلاح والخيل والدواب لحمل الجيش، وتمكين الزاد فلا يتأتى هذا إلا بأخذ أموالهم فظن أن الإذن في القتال إذن في أخذ أموالهم، وإلا فما كان يقدر من القتال على شيء لولا الغنائم فهذا كان اعتقاده ﷺ في تحليل الغنيمة ثم قوي اعتقاده وظنه بعد هذا في تحليل الغنائم بما أخذ أصحابه من عير عمرو بن الحضرمي، وهي عير لقريش كانوا أخذوها قبل بدر واقتسموا أموالهم، فما سمعوا فيها نهياً ولا وقع لهم هلاك بسببها فتقوى اعتقاده، في تحليل الغنائم، فلما وقعوا فيما وقعوا فيه من غنيمة بدر أنزل الله سبحانه وتعالى في شأنها التهويل والترويع والتغليظ والأراجيف الشديدة، بقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ [الأنفال: ٦٨] الآية، فهذا وجه الجواب في هذه القضية: **ومن ذلك** أن يقول المعارض مثلاً إنه ﷺ استغفر لعبد الله بن أبي فأنزل الله سبحانه وتعالى في شأنه: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] قال ﷺ في هذا: «**لو عَلِمْتُ أني إنْ زِدْتُ على السَّبْعِينَ غُفِرَ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا**» يقول المعارض لو كان هذا عن وحي ما تعقبه الله بهذا النهي **الجواب**: اعلم أن عمله ﷺ في ذلك كان عن وحي إلهي والوحي ههنا الذي عمل عليه هو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقال له: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال في حق اليهود: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]، وقال له سبحانه وتعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٣٤] وقال له سبحانه وتعالى لما ذكر من أعدت لهم الجنة: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤] فعمله ﷺ على مقتضى هذه الآيات كان يعامل الناس ﷺ بالرحمة والشفقة، والعفو والإحسان، وعدم المؤاخذة بذنوبهم، والصفح عن زلاتهم، فهذا كان عمله ﷺ بالوحي لأن الله سبحانه وتعالى أمره في هذه الآيات بالرحمة والشفقة والعفو والإحسان والصفح والتجاوز ومكارم الأخلاق الإلهية، فلذا استغفر لابن أبي معاملة بما أمره الله به فقد أخذ ذلك من الوحي وهي الآيات التي ذكرها قبل **فإن قيل**: إذا كان هكذا عمله في كل قضية بالوحي فما باله تعقبه الله بما سمعت من الخبر حتى قال له سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم﴾ [التوبة: ٨٤] **الجواب**: اعلم أن عمله ﷺ كان أولاً بالوحي، بمقتضى الآيات التي سمعتها أولاً وذلك الأمر شامل لجميع فروع تلك الشؤون، وهذه القضية فرع من فروع تلك الشؤون، نسخ ذلك الحكم فيها سبحانه وتعالى وتعقبه بحكم آخر وبقيت تلك الأحكام جارية على جميع فروعها، إلا في هذا الفرع فقد نسخ في الحكم وحده ولا حجر على الله تعالى في أن ينسخ حكماً ويرفعه بعد تقريره فيما شاء من الأحكام.

ومن جملة ما يعترضه المعارض قوله سبحانه وتعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] فلو كان فعله ﷺ عن وحي ما عاتبه الله تعالى ولا أخبره الله بالعفو عن فعله **الجواب**: اعلم أن الذين أذن لهم النبي ﷺ في القعود عن الجهاد في غزوة تبوك، أنه ﷺ كان كل من جاءه يعتذر إليه ويذكر له عذراً في قعوده عن الجهاد في تلك الغزوة عملاً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وعملاً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فإنه ﷺ في ذلك الإذن لمن أذن له منهم مستنداً لهذه الآيات، وأضرابها في العفو عنهم ومسامحتهم فيما يعتذرون فيه ورفعا لأثقال عنهم فيما يشكون منه، كل ذلك عملاً منه ﷺ بالرحمة الإلهية، التي أمر بها حيث يقول فيه سبحانه وتعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] هكذا كان استناده الوحي ﷺ، فلما كثر المتلاعبون في بث هذه الشكوى وعدم تحمل هذه الأثقال، كما قال في حقهم سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾ [التوبة: ٤٢] ثم فضح أسرارهم سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢] فلما كثر هذا التخليط منهم واستأثر الكاذب منهم بالصادق، عاتب الله رسوله ﷺ على هذا، وأخبره بالعفو عن فعله طلباً منه وأمراً بأن لا يأذن لهم حتى يستثبت أمرهم، ويفصح عن صحة دعواهم ليتبين الصادق من الكاذب فإنه ﷺ استند للوحي في فعله ﷺ فلما كثر الكذابون واستأثروا بالصادقين عاتبه الله سبحانه وتعالى، ومراد الله منه أن لا يأذن لهم حتى يستثبت الأمر كما ذكرنا.

ومن جملة ما يعترضه المعترض أيضاً ما أنزل الله تعالى في سورة التحريم: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١] يقول المعترض لو كان هذا عن وحي ما عاتبه الله تعالى لأن ما كان من عند الله لا يوجد فيه الاختلاف؟ **الجواب**: اعلم أنه ﷺ كان مستنداً للوحي في هذه القضية حيث قال لزوجته لما عاتبه ما مقتضاه، إني أتركها من أجلك وهي

أمته التي واقع في غيبة زوجته، فلما اطلعت على ذلك غضبت وقال لها: «**إِنِّي أَتْرُكُهَا مِنْ أَجْلِكِ**» أو ما معناه هذا كان عمله في ذلك بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] فأشفق عليها ﷺ بما حل بها من الغيرة وعاملها بالمعروف الذي هو مقتضى الآية، فلما ورد عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [التحريم: ٢] رفع حكم الآية الأولى في هذه القضية وحدها ونسخه بالآية الثانية حيث قال قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم وهو أمر له بالرجوع إلى أمته إلى ما كانت عليه. انتهى ما أملاه علينا سيدنا رضي الله تعالى عنه من حفظه ولفظه.

وسألته رضي الله عنه عن معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] الآية **فأجاب رضي الله عنه بما نصه**: اعلم أنه ورد في الصحيح عنه ﷺ أنه قال في يوم القيامة بعد ما ذكر ﷺ قال: «**يقال من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع الشمس من كان يعبد الشمس، ويتبع الطواغيت من كان يعبد الطواغيت، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم الله في غير الصفة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في الصفة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيخرون له سجداً فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا خر ساجداً، ولا يبقى من كان يسجد إتقاء ورياء وسمعة إلا انتكص على عقبه**» وهي آخر فتنة تقع بأهل الموقف، فهو مراد الآية وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] إلى قوله: ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣] وأما الكلام على العبارة بالكشف والساق، فالمراد بالكشف والساق ههنا هو تبدي ذلك الجلال والكمال العديم المثال فهو المراد بالساق، والعبارة خرجت مخرج الأمثال على طريق السياق عند العرب، لأنهم كانوا إذا اشتد الأمر واحتيج إلى القتال الشديد والمصابرة العظيمة للأمر، قالوا الآن كشف عن ساق يعني زال الريب وانزاح الرجاء الذي كان يعتقده المعتقد وأن الشدة لا تقع بهم، فانكشف الغطاء وتبين الاحتجاج والاضطرار إلى مقاساة الشدائد والثبوت في موقف الشجاعة وشدة الصبر، لتحمل الأثقال العظيمة حيث لا ريب في وضوحها ولا رجاء في عدم وقوعها، فيقولون كشف عن ساق هذا من حيث صورة الشيء الظاهر المقابل بفتح الباء، وكذا أيضاً هذا المثال في الشخص العامل على مقاساة الشدائد حيث ظهرت، والوقوف في موقف الشجاعة وتحمل الصبر على الأثقال العظيمة، فإنه من شأن صاحب هذا الأمر أن يكشف عن ساقه ويشمر ويشد حيازيمه ويكشف عن عضديه، لملاقاة ما هناك من الشدائد فيقال كشف عن ساق لأن كشف الساق والعضدين واشتداد الحيازم، لازم لهذا الأمر لا يتأتى بدونه، فيقولون كشف عن ساق تعبيراً عن الملزوم بلازمه، ثم وجه ضرب المثل في هذه الآية بقوله يوم يكشف عن ساق، كأن كل عابد لغير الله تعالى من الأوثان والطواغيت، يظن أنه ناج بعمله راج الفوز ببلوغ أمله، فانكشف لهم الأمر من الله بقوله لهم: من كان يعبد شيئاً فليتبعه فإذا اتبع العابدون ما عبدوه قذف بهم مع معبوداتهم في النار، فذلك هو الكشف عن ساق في ضرب المثل في الآية حيث بطل ما كانوا يرجونه بالفوز بالبلوغ للآمال، بسبب عبادتهم لغير الله تعالى فلما قذف بهم في النار بطل الرجاء. وزال الريب، ولم يبق إلا الحق المحض الخالص فهذا وجه ضرب المثل لمن عبد غير الله تعالى من الطواغيت، ثم تبقى الفتنة الثانية لمن عبد الله تعالى، هو قوله: «**فَيَأْتِيهِم الله فِي غَيرِ الصِّفَةِ الَّتِي يعْرِفُون فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُم فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللهِ مِنكَ هَذَا مَكَانَنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ**» الحديث ومعنى هذا الحديث أنه تجلّى لهم سبحانه وتعالى من وراء حجب الأستار، ولم يكشف لهم صريح الجلال وأسمعهم مع هذا خطاب ذاته بقوله: أنا ربكم والموقف جمع أصحاب اليقين وأصحاب الإيمان، فأما أصحاب اليقين فسكتوا علماً منهم بأن ذلك هو الحق سبحانه وتعالى، وهو الذي يخاطبهم بذاته ولم يعتبروا تلك الأستار التي تجلّى لهم بها من ورائها يقول لهم سبحانه وتعالى في هذا المعنى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، فعامة المؤمنين لجهلهم الله في مراتبه ظناً منهم أنه لا يكلمهم إلا إذا تبدى لهم جلاله، وزالت حجب الأستار فلذا قالوا نعوذ بالله منك، والصديقون والنبيون وقد شملهم الموقف مع أهل الإيمان موقنون به أنه هو المتجلّي من وراء حجب الأستار، كما قال: ﴿فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ فلم يشكوا فيه لأن لهم صفو اليقين لا يقع لهم معه ريب ولا توهم، والفرق بين الإيمان واليقين أن رتبة الإيمان في منزلة اللبن الحليب ومرتبة اليقين في مرتبة السمن إذا كمل خلوصه وصفاؤه، فإنه كان أولاً حليباً مختلطاً صفوه وغثاؤه، ثم انتقل رائباً فزالت عنه ممازجة المائية التي صحبته من الجسد، فلما مخض زالت عنه

اللبنية التي هي مع السمن بمنزلة النخالة مع الدقيق، فلما صفا زبده زال عنه ما بقي من القشور عليه فظهرت صورة السمنية في غاية الصفاء والتجوهر، فهكذا اليقين كان أولاً إيماناً فما زال ينتقل رتبة فرتبة إلى أن زال الران والريب والوهم، مثاله مثل الشمس ما دام الليل ظلاماً فصاحبها مؤمن بوقوع الضوء ثم ينشق الفجر عنه فينكشط الظلام شيئاً شيئاً حتى إذا طلعت الشمس، لم يبق أثر للظلام ولا غير، كذلك صاحب اليقين سلبه الله صورة من صور الغير والغيرية ولم يبق في حسه وشهوده وإدراكاته وذوقه إلا الحق محضاً سبحانه وتعالى، من كل وجه بكل اعتبار كما قال بعض العارفين:

فلم يبق إلا الله لا شيء غيره فما ثم موصول ولا ثم بائن

فإنه عند صفو اليقين وكماله، يظهر العالم كله متراء كسراب بقيعة يظهر بصورة الشيئية، كما قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [النور: ٣٩] فهذا نظر الموقن في الأكوان قال العارف بالله التستري رضي الله عنه:

لم نلق كنه الكون إلا توهما وليس بشيء ثابت هكذا الفينا

فلهذا التحقيق لم يقع للموقنين في ذكر الموقف شك ولا ريب، لأنهم يعلمون بل يتحققون أن تلك الأستار التي من ورائها لا شيء فيها، إنما هي كسراب بقيعة وصورتها في ذلك صورة الهباء في الهواء أنت تراه صوراً مرئية فإذا قبضته بيدك لم تر شيئاً، هكذا صورة الكون عند الموقنين، وأما أصحاب الإيمان فليس الله عندهم إلا أنه ليس صورة معينة ولا جسماً ولا في جهة ولا يوجد في حد ولا يقع عليه الكيف هذا حده عندهم، فلما تجلّى بخلاف هذا قالوا نعوذ بالله منك فالكلام سمعوه منه سبحانه وتعالى، ولكن أنكروه في الصورة، فما مقتهم سبحانه وتعالى لأن تلك رتبة إيمانهم فتجلّى لهم حينئذ في الصفة التي يعرفون، وهي الحدود المذكورة آنفاً فيقول: أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيخرون له سجداً. الحديث لكن إنكارهم في المرة الأولى سلبهم أنوار اليقين، فلا يتحققون شيئاً فأنكروه لما خاطبهم وفي التجلّي الثاني قذف فيهم أنوار اليقين فعرفوه بتلك الأنوار، فقالوا أنت ربنا، ولا تظن أن من عرف الله أياً كان من المؤمنين والموقنين، إن ذلك من قوته أو فكره وإنما هو بنور مقذوف من عنده سبحانه وتعالى، من اختصه من خلقه فبتلك الأنوار عرفه من عرفه، وآمن به من آمن به، وبفقد تلك الأنوار كفر من كفر به، يقول في الخبر: إن الله خلق الأرواح كلها في ظلمة، ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور آمن، ومن أخطأه ذلك النور كفر فما عرف الله إلا من عرف بالله فهو المعروف، والمتعرف ومن أبى عنه سبحانه وتعالى، تركه يخوض في ظلام الكفر.

وقد ذكرنا في هذا أن هذه آخر فتنة بأهل الموقف، فإن الفتن التي قبلها في يوم القيامة كلها، قد انفصلت وانقضى زمانها وصفا الموقف من المشركين، إلا من كان يعبد الله مثل اليهود فحينئذ يفصل بينهم سبحانه وتعالى، ثم يبعثهم إلى النار حتى لم يبق إلا المؤمنون، فيفصل بينهم سبحانه وتعالى وظاهر ما في الأخبار يعطي الإشكال العظيم في أخبار يوم القيامة فإنه ﷺ أخبر في حديث الشفاعة الكبرى حين يشفع في تعجيل الحساب لأهل الموقف يقول له سبحانه وتعالى بعد أن يشفعه: قدم أمتك للحساب فتتقدم الأمة المحمدية للحساب بما فيهم، من بر وفاجر وولي وفرعون، تتقدم كبكبة واحدة وقد جمعتهم الملائكة فيقفون للحساب بين يدي الله تعالى، فلا يلتفت للأمم حتى يفصلهم، فيبعث أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، لكن يعارضه حديثاً قوله ﷺ: يعرض الناس يقوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما الثالثة فتطاير الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله، وهذا صريح في اجتماع الأمم كلها على هذا المنوال وقوله ﷺ في حديث سؤال الرسل مع أممهم، عن الرسالة وتبليغها فكل رسول تجحده أمته التي كفرت به، ويقولون ما جاءنا بشيء ولا أخبرنا بشيء ولا أتانا برسالة بعد سؤال الله له عن الرسالة فيقول: بلغت وأديت الأمانة فيقول من يشهد لك بهذا؟ فيقول أي رب محمد وأمته، فيؤتى بهذه الأمة تشهد للرسل على أممهم بأنهم بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة، فيخرج الجواب من عند الله تعالى بأنكم عدول مقبولون الشهادة على من شهدتم عليه، **وفك الإشكال** في هذا أن مبدأ الحساب العرضات الثلاث يوبخ كل واحد على فعله سبحانه وتعالى، كما قال وعرضوا على ربك صفاً فكل واحد يجادل عن نفسه ويعتذر عن قبيح فعله حيث يقول عليه السلام: فأما عرضتان فجدال ومعاذير بقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١] وأما العرضة الثالثة فتطاير الصحف، فكل يأخذ صحيفته بيمينه أو شماله، فهذا للجماعة لا يختص بأمة وكلهم في موقف

واحد في هذا العرض، ثم ينقل الحال إلى سؤال الرسل وأممها عن الرسالة والأمة المحمدية في هذا كله مختلطة بالأمم، حتى تقع الشهادة منهم للرسل واحداً بعد واحد، ثم تنفصل الأمة المحمدية إلى الحساب وحدها فيفصلهم عن آخرهم، ثم ينقل الأمر سبحانه وتعالى إلى محاسبة الأمم أمة بعد أمة، فإذا فصل الكفار من الموقف ولم يبق إلا المؤمنون ومن كان يعبد الله تعالى من الكفار مثل اليهود، تجلّى عليهم بهذه الفتنة ثم يبعثهم إلى النار، فإذا لم يبق إلا المؤمنون فصل بينهم في الحقوق التي بينهم ثم يبعث منهم أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، وأما خبر الحوض في الحديث فإنما هو في مدة محاسبة الأمة المحمدية للحساب، فيأتونه في غاية العطش والكرب من شدة الظمأ، يشرب منه من يشرب ويطرد عنه من يطرد ممن لم يغفر له من أهل النار، ويشرب منه من المخلصين من غفر له أو أدركته شفاعة الشافعين، فغفر له وهو قبل الصراط على التحقيق لتواتر أخبار عليه، وما ذكر بعض العلماء من أنه بعد الصراط لا يصح لأن من جاوز الصراط لا يتأتى طرده عن الحوض، لأن من جاوز الصراط فقد كملت نجاته. انتهى ما أملاه علينا رضي الله تعالى عنه من حفظه ولفظه.

وسألته رضي الله تعالى عنه عن معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] وعن قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص: ٧] الآية هل كلام الملائكة يستلزم نبوتها، وكذلك الوحي لأم موسى يستلزم نبوتها أم لا وهل السيدة مريم وسيدتنا فاطمة رضي الله عنهما أيهما أفضل، والترتيب الذي ذكره العلماء في التفضيل بينهن أن السيدة مريم أفضل نساء العالمين، ثم آسية بنت مزاحم، ثم خديجة، ثم عائشة، ثم فاطمة رضي الله عن جميعهن؟ **فأجاب** رضي الله عنه بما نصه الجواب، والله الموفق بمنه للصواب: اعلم أن نبوة السيدة مريم واحتجاج القائل بها بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [آل عمران: ٤٢] الآية وكذلك القول بنبوة أم موسى، تمسكاً بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ فكل هذه الأقاويل باطلة، لا يعول منها على شيء والقول الحق الذي يجب المصير إليه، أن النبوة مستحيلة على النساء لا سبيل لهن إليها، ثم إن مريم وآسية قال فيهما ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ غَيْرَ آسِيَةَ ٱبْنَةُ مُزَاحِمٍ وَمَرْيَمَ ٱبْنَةَ عِمْرَانَ» والمراد بذلك أنهن أدركن مرتبة الصديقية التي ليس فوقها في المعرفة بالله والعلم به والرسوخ في العلم إلا القطبانية والنبوة، وهذا غاية ما أدركن، وأما خديجة فقد صرح ﷺ بفضلها في أحاديث حتى قالت عائشة رضي الله عنها: ما كنت أغار من امرأة من نسائه ﷺ إلا من خديجة، من كثرة ما يذكرها ﷺ، ويعظمها وقد نقل ابن سبع في شفاء، أنه ﷺ قال يوماً للناس: «أَلَا وَإِنَّ صَفْوَتِي مِنْ نِسَائِي عَائِشَةَ ٱبْنَةَ الصِّدِّيقِ إِلَّا مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنَ الْفَضْلِ لِخَدِيجَةَ ٱبْنَةَ خُوَيْلِد» فأظهر فضلها هنا عليها وقد نقل أيضاً ابن سبع في الشفاء حديثاً أنه ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها: «أَنْتِ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِين» فوضعت يدها على رأسها حياء ثم قالت: له فأين آسية ابنة مزاحم ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد فقال لها ﷺ: آسية سيدة نساء عالمها، ومريم سيدة نساء عالمها، وخديجة سيدة نساء عالمها، وأنت سيدة نساء عالمك، وقد قال يوماً لعلي رضي الله عنه بعد ما عقد له على فاطمة قال له: «زَوَّجْتُكَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينْ» وأما عائشة فقال فيها صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَام» وقد تعارضت أقاويل العلماء في التفضيل فيما بين فاطمة وعائشة، كل طائفة مالت إلى تفضيل إحداهن محتجين بهذين الحديثين، وقد قال مالك رضي الله تعالى عنه: أما أنا فلا أفضل أحداً على بضعته ﷺ، مع كون جماعة من العارفين أجمعوا من طريق الكشف لا من طريق السمع على أن فاطمة أدركت، من بعد أبيها صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، مرتبة القطبانية العظمى، وحيث كان الأمر هكذا فلا نسبة بين فاطمة وعائشة، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] وليس في خلق الله عزّ وجلّ كلها عموماً وإطلاقاً من بعد الأنبياء من البشر والملائكة، من يتأتى منه أن يصل إلى مقدار ألف جزء من تقوى قطب الأقطاب، ولو بلغ فهو أفضل جماعة المسلمين في كل عصر إلا ما كان من مفاتيح الكنوز فهو أفضل منه في أمور، وهم أفضل منه في أمور فإذا تعقلت هذا ففاطمة أفضل من عائشة قطعاً ومن مريم وآسية، وكونها رضي الله تعالى عنها أدركت القطبانية، دون سائر النساء، لكونها لا تحيض ومن كونها أعطيت مرتبة الكمال من أبيها، ما لا مطمع فيه للنساء، فلذلك أدركت القطبانية، والقطب سيد الوجود في كل عصر إلا ما كان مفاتيح الكنوز، وسبب عدم حيضها، أن تكوين نطفتها التي تكونت في صلبه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، تكونت من أكله تفاحة الجنة، فلذا قال فيها أبوها: هي حوراء آدمية، وكونها حوراء لأنها لم تخلق من فضلات

التراب، التي مادتها سارية في جسد آدم عليه السلام إلى سائر بنيه فإنما كانت مادة نطفتها من معاني الجنة وأسرارها التي خلق الله منها الحور، فكملت طهارتها من ملابسة أحوال البشرية التي تلابس النساء، فكانت بذلك حوراء آدمية، وبذلك وصلت المرتبة العليا بين يدي الحق سبحانه وتعالى التي ليس فوقها إلا النبوة، وعائشة وغيرها لا مطمع لهن في هذا فبان لك حينئذ أنها أفضل من جميع النساء الفاضلات.

وأما القول بنبوة مريم قلنا إنه باطل، ووجه إبطاله أن القطب في كل عصر له وجهة إلى كل ذرة من الموجودات، ويمدها ويقومها كل الوجود ذرة ذرة في هذا، فما من ساجد سجد لله تعالى في الوجود، أو راكع ركع لله تعالى، أو قائم قام لله تعالى، أو متحرك تحرك لله تعالى، أو ذاكر ذكر الله تعالى، بأي ذكر في جميع الوجود، فالقطب في ذلك هو المقيم له فبه سبح المسبح، وبه عبد العابد، وبه سجد الساجد، وبه وقعت الوجهة الأخرى التي لا تذكر، فحاصل الأمر فيه أنه للوجود كله بمنزلة الروح للجسد، كما أن الجسد لا قيام له ولا تعقل له إلا بالروح، ولا حركة له إلا بالروح، وجميع خواص الجسم الظاهرة والباطنة من حيث ما هي، هي كلها بالروح الحيواني المتعلق به فإذا انعدمت الروح منه انعدمت جميع خواص الجسم، وصار ميتاً معدوماً كذلك جميع أجساد الوجود، في نسبتها إلى القطب هو لها كالروح للجسد فلو زالت روحانيته منها، لانعدم الوجود كله فهو روح الوجود، وكل خواص الوجود بأسرها على التآمها وافتراقها وعمومها وخصوصها وإطلاقها وتقييدها، كلها لا تلازم ذوات الوجود روحانية القطب فيها فإذا أزال القطب روحانيته عنها انهدم الوجود كله، وصار ميتاً لا خاصية له وهذه القوة له من تحمله لسر الاسم الأعظم، وسريانه في كلية عوالمه وبسر الاسم الأعظم، صار بين يدي الله تعالى قائماً مستكملاً آداب الحضرة الإلهية، ومكملاً أداء حقوقه سبحانه وتعالى في جميع تجلياته الأسمائية والصفاتية، والذاتية في كل آن وفي كل مقدار طرفة عين، ولا نهاية لما يتجلّى به ربنا سبحانه وتعالى في كل مقدار طرفة عين، من استمرار الزمان من أسمائه وصفاته وذاته وتقلب شؤونه، والقطب في كله بين يدي الله تعالى يعطي جميع تلك التجليات ما تستحقه من الآداب والوظائف والخدمة في كل مقدار طرفة عين، وإن كثرت التجليات إلى غير نهاية، فهو يوفي جميع حقوقها وأدابها فليس في الوجود من يقدر على تحمل جميع ما يتجلّى به الحق سبحانه وتعالى، في جميع الخلائق غيره فهو في هذا في كل مقدار طرفة عين من عمره، ولو أن جميع الصديقين وقفوا مع الله في هذا الموقف لانعدموا في أسرع من طرفة عين، وهذا دأبه ديدنا فإذا عرفت هذا فالنساء لا قدرة لهن على هذا التحمل لضعفهن، ولكون الحيض شاغلاً لهن عن إقامة الحقوق الإلهية، فلو أن امرأة قامت مقام القطبانية، لتعطل القيام بحقوق الله تعالى في تجلياته في أيام من عمرها، هي أيام الحيض فإذا تعطل القيام بواجبات حقوق الله تعالى، انهدمت المرتبة أعني القطبانية وبهدمها ينهدم الوجود، فإذا عرفت هذا عرفت أنه لا نسبة للنساء في تحمل مرتبة القطبانية، هذا في القطبانية فانقطاع طمعهن في النبوة أحرى وأولى، لأن النبوة أكبر من القطبانية، وأما فاطمة رضي الله تعالى عنها فإنها وصلت مرتبة القطبانية لأنها استمدت الكمالات الإلهية التي تتحمل بها سر الاسم الأعظم، والثبوت في مرتبة القطبانية، ولا مطمع للنساء في استمداد تلك الكمالات منه ﷺ إلا فاطمة رضي الله عنها فقط، فبذلك كانت هي أفضل النساء على الإطلاق، وإذا عرفت هذا عرفت منه أنه لا مطمع للنساء في درك الاسم الأعظم.

وأما ما استدلوا به على نبوة سيدتنا مريم، بكلام الملائكة وعلى نبوة أم موسى بالوحي **فالجواب عن ذلك** أن الله كلم إبليس بذاته وليس فيها نبوة، إذ الرب سبحانه وتعالى أعلى من الملك وليست بنبوة في حق إبليس، فأما نبوة أم موسى فوجه إبطال نبوتها بالوحي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢] ولا قائل بنبوة السموات، وبقوله سبحانه وتعالى: بأن ربك أوحى لها يعني الأرض ولا قائل بنبوتها، فدل على أن الوحي لا يستلزم النبوة. والسلام انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه بمجلس واحد والسلام.

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني

وأوله الفصل الثاني في الأحاديث النبوية وعلومه الاختصاصية المصطفوية